تركيب الرقيم السومري للنشر والتوزيع

2026
فَاقْصُصْ اَلْقِصَص

قِصَصٌ مُنْتَقَاةٌ وَعِبَرٌ مُسْتَوْحَاةٌ، أُلْقِيَتْ فِي مَسَاجِدَ بِبَغْدَادَ، وَفِي قَنَاةِ (حَقٍّ) اَلْفَضَائِيَّةِ عَامَ 1446 – 1447 هـ (2025- 2026 م).

أُعِدَّ بواسطة
ا. د. عمر حمدان الكبيسي

الطبعة : الاولى
https://sss-publisher.com/

فَاقْصُصِ الْقِصَصَ

فَاقْصُصْ اَلْقِصَص
ا. د. عمر حمدان الكبيسي
التصنيف : الادب والروايات
الطبعة: الاولى

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (بلا) لسنة (بلا)

ISBN: 978-9922-7961-47

DOI: 10.62909/978.9922.7961.47

دار تركيب الرقيم السومري للطباعة والتوزيع والنشر الالكتروني
العراق – ديالى – بعقوبه – شارع الاوقاف
هاتف : 07775262892
manager@sss-publisher.com

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو وساطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

فَاقْصُصْ اَلْقِصَص

ا. د. عمر حمدان الكبيسي

2026

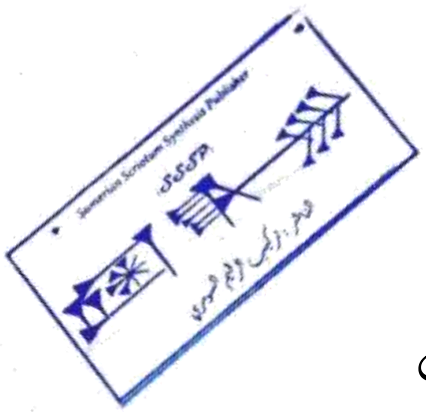

تنضيد الكتاب

معهد الترجمة والكتاب

«ماليزيا»

مراجعة لغوية

الدكتور محمد محمد كاظم

«العراق»

تصميم الغلاف

معهد التكنالوجيا

«الهند»

التوزيـــع والنشـــر الإلكترونـــي ، تمـــت فهرســـة هـــذا الكتـــاب فـــي عـــدد مـــن الفهارس والمنصات الدولية، منها:

كروس ريف	(CrossRef)
أوبن ألكس	(OpenAlex)
مؤشر الاقتباس المفتوح الأوكراني	(OUCI)
سجل مستودعات الوصول المفتوح	(ROAR)
سيمنتك سكولار	(Semantic Scholar)
دايمنشنز	(Dimensions)
ريسرش غيت	(ResearchGate)
فات كات	(Fatcat)
المعيار الدولي للترقيم	(IAS)
مؤشر الاستشهاد العلمي	(SCI)
أوركيد	(ORCID)
سايليت	(Scilit)

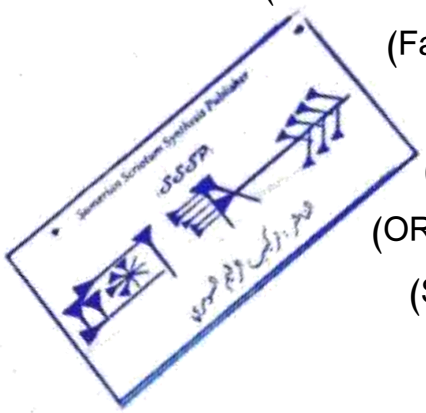

الموقع الرسمي لدار النشر الرقيم السومري للنشر والتوزيع

يتوفر هذا الكتاب عبر الموقع الرسمي لدار النشر، مع تخصيص مُعرّف رقمي دائم (DOI) خاص به: https://doi.org/10.62909/978.9922.7961.47

978-9922-7961-47

إهداء:

إلى رفيق الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة.

رضعنا حليبًا واحدًا، ونبتنا في تربة واحدة، وسلكنا مسلكًا واحدًا.

إلى القلب الأبيض، واللسان الحكيم، والدمعة الصادقة، والحنان الدافئ.

لسان لا يعرف النفاق، وعقل يفيض بالحكمة.

أرجو الله الذي جمعنا على قلب واحد أن يجمعنا معًا في مستقر رحمته.

إلى أبي مصطفى: الأستاذ الدكتور عبد الغني حميد محمود الكبيسي.

أستاذ الحديث في جامعة البحرين

أخوك: الذي لم يدعُ دعاءً إلا واسمك في صدارته.
عمر حمدان أبو أوس
٢١ - رجب الفرد - ١٤٤٧ هجرية
١٠-١-٢٠٢٦ ميلادية

فاقصص القصص

(1)

الطائر الكسيح

في أواخر القرن الثاني الهجري وفي مدينة بلخ بأفغانستان عاش رجل زاهد يسمى شقيق بن إبراهيم البلخي، وكان له شيخ معروف بسيد الزاهدين كما يقول الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وهو إبراهيم بن أدهم رحمه الله,

ضاقت على شقيق البلخي الدنيا، فعقد العزم على السفر لطلب الرزق.

شجعه شيخه إبراهيم بن أدهم،.

نعم " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ".

ذهب شقيق يقطع الفيافي والقفار، وفي وقت استراحته في الطريق شاهد عشا فيه طائر أعمى (ظهر له ذلك من خلال حركاته)، وكسيح الجناحين، فلا يقوى على الطيران، هذا المنظر أخذ من تفكير شقيق كلّ مأخذ:

تُرى مَنْ يطعم هذا الطائر الأعمى الكسيح في هذه الصحراء الواسعة المنقطعة ؟

بقي منتظرا متفكّرًا، ولم يقطع تفكيره سوى صوتِ طائرٍ يحمل في منقاره جرادة، فألقمها فم هذا الطائر الأعمى، ثم طار.

هذا المشهد بقي شاخصًا في مخيلته:

سبحان الله، لا إله إلا الله، الرزاق الوهاب ذو القدرة والرعاية والرحمة .

يا شقيق (ينادي نفسه) الذي رزق هذا الطائر الكسيح في هذه الصحراء، هل تراه ينساك من الرزق، حاشاه، سبحانه.

والله لأرجعنّ إلى بلدي وأقعدنّ في بيتي، وسيأتيني الرزق حتما، كما أتى هذا الطائر.

وعاد شقيق أدراجه إلى مدينته، وقعد في بيته.

وفي صلاة الفجر في مسجد المدينة رأى إبراهيم بن أدهم تلميذه شقيق في المصلين فاستغرب.

- ترى هل أعيا شقيقَ المرضُ فرجع، أم ماذا حصل له ؟

وبعد انتهاء الصلاة جاء شقيق مسلّما على شيخه:

- خيرا يا شيخ شقيق، ما الذي أرجعك وقد خرجتَ تبتغي رزق الله ؟
- والله يا شيخي: الذي أرجعني منظر رأيتُهُ بعينيّ، طائر كسيح أعمى في أرض مقفرة يسخّر الله له طائرا، لا أدري كيف عرف مكانه، ليطعمه، ويطير.

فقلتُ في نفسي: لِمَ العمل والتعب والسفر؟

فالذي أطعمه – سبحانه – يطعمني، فرجعتُ.

فضحك الشيخ الرباني ضحكة ملأتْ وجهَه النورانيَّ وحرّكت جسمه، وقال مستغربًا:

يا ولدي شقيق – هداني الله وإياك – أنت رأيتَ طائرَيْن:

طائرًا يعمل ويكفي نفسه وغيره، وطائرًا كسيحًا أعمى معذورًا لا يقدر على طلب رزقه، فسخّر الله الأول للثاني.

أليس كذلك يا شقيق ؟

- نعم يا شيخي
- فلِمَ رضيتَ لنفسك أن تكون الطائر الكسيح ؟ ولم ترضَ أن تكون الطائر الذي يكدّ ويعمل، ويطلب رزق الله في أرض الله؟

ألم تسمع قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:" اليدُ العليا خير من اليد السفلى " ؟

وهنا انتبه شقيق، وكأنه أفاق من سبات وقام إلى شيخه يقبّل رأسه ويقول:

منكم نأخذ العلم يا سيدي.

وعاد شقيق إلى السفر متوكلا على ربه في طلب رزقه.

وقد ختم الله له حياته بخير خاتمة يتمناها، فتوفي في معركة كولان سنة ١٩٤ هجرية، (نحسبه شهيدا، ولا نزكي على الله أحدا)، رحمه الله ورضي عنه.

أفكار القصة:

فكرة المكتوب على الإنسان من أجل ورزق، وشقي أم سعيد تجرنا إلى فكرة:

هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟

افترضْ إنسانا ما، لا يصلي ولا يصوم وليس عنده أيّ التزام بدينه، وعندما تسأله يقول: الله هو الذي كتب عليّ هذا، ألم تقولوا:

إنّ الله كتب للإنسان وهو في بطن أمه رزقه وأجله وشقي أم سعيد، فالله كتبني عنده شقيّا .

ماذا نقول له: نقول له جوابا سهلا:

إذًا لماذا يحاسبك الله ويُدخلك عذابه ؟

كأنك تتهم رب العالمين بأنه – سبحانه وحاشاه – ظالم، وهو أعدل وأرحم الراحمين.

فالخطأ أنك فسرتَ الكتابة والتقدير بأنه إجبار من الله لك، لتعمل هذا العمل.

أخي الكريم: هذه الكتابة إنما تفسّر علم الله الغيبي الأزلي الأبدي، أزلي في القدم، أبدي في المستقبل غير المتناهي.

خذ – مثلا – طفلا له من العمر عشر سنين، مَنْ مِنَ المخلوقين يعلم هذا الطفل بعد خمسين سنة – مثلا – إذا أمدّ الله به العمر، كم سيكون له من الأولاد، وما عقيدتهم، ما سلوكهم ؟ أشقياء أم سعداء.

كلّ ذلك وأضعافه وأمثاله في علم العليم الخبير فقط، استأثر به سبحانه.

فهو يعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون.

وهو سبحانه قدّر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها.

فخلاصة الأمر في أنّ الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟

أن الأمور التي تكون تحت إرادتك فأنت فيها مخيّر محاسب، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

أما الأمور التي هي خارج إرادتك فأنت فيها مسيّر لا اختيار لك فيها، فلا تحاسب عليها.

والله أعلم.

ولذلك عندما نقرأ " يهدي من يشاء " قال العلماء: الهداية هنا هداية دلالة، يعني أعطاك العقل وأرسل الرسل ومعهم كتبهم، ووضح لك الطريق الذي يوصلك إلى الجنة، والطريق الذي يوصلك إلى النار، وبقي الأمر إليك، والاختيار بين يديك.

وأوضح تفسير لهذه الهداية " إنّا هديناه السبيلَ إمّا شاكرًا وإمّا كفورًا "

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت.

فاقصص القصص

(2)

وللتسوّل علاج

جاء رجل من الأنصار إلى النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم، يشكو إليه الحاجة (أو بأسلوب آخر: متسوّلا)، فقال له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

أما في بيتك شيء ؟

قال: بلى يا رسول الله حلس وقعب (الحلس: قطعة من قماش يتغطى به الإنسان أو يجلس عليها، وقعب: إناء من خشب يستعمل لشرب الماء أو ما شابه)

قال له صلى الله عليه وسلم: ائتِني بهما، فجاء بهما.

فرفعهما النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة، وقال لصحابته رضي الله عنهم:

من يشتري هذين ؟

قال أحدهم: أنا أشتريهما يا رسول الله بدرهم.

قال صلى الله وسلم: من يزيد ؟ من يزيد؟

فقام صحابي فقال: أنا آخذهما بدرهمين.

فدفعهما له وأخذ الدرهمين، وقال للأنصاري: اشترِ لأهلك بدرهم طعاما، واشتر بالآخر قدوما (فأس صغيرة)، وائتِني به، فجاء بالقدوم فوضع له صلى الله عليه وسلم، مقبضا له، خشبة – مثلا - ، وأعطاه إياه، وقال له:

اذهبْ فاحتطب وبع الحطب، ولا أرَيَنّك خمسة عشر يوما.

بعد مضي الأيام الخمسة عشر لقيه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وعليه ثوب جديد، فاستبشر صلى الله عليه وسلم، فقال الأنصاريّ :

لقد أصبتُ – يا رسول الله - عشرة دراهم .

فقال صلى الله عليه وسلم: " هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إنّ المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع [1].

- **أفكار القصة:**

تعال معي أخي الكريم نتأمل كيف وضع النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم الحل الأنسب لهذه المشكلة (مشكلة التسول)، تعال نتفحص الخطوات التي خطاها صلى الله عليه وسلم لكي يتحول هذا الرجل

[1] الترمذي وحسّنه : ١٢١٨.

الأنصاري من متسوّل إلى تاجر يربح عشرة دراهم في غضون خمسة عشر يوما، بينما كان لا يملك إلا متاعا لا يكاد يسوى درهمين.

الفكرة الأولى: لم يعطِه صلى الله عليه وسلم الدرهمين من عنده، ولا طلبهما من أحد أغنياء المدينة، ولا جمع له الدرهمين من رواد المسجد، وكان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك، ولو فعل ذلك صلى الله عليه وسلم لكان عمله تسولا من نوع آخر، وكان هروبا من المشكلة إلى المشكلة نفسها، وفيه ما فيه من الذل، والمؤمن عزيز النفس، بل أخذ ما عنده من حلس وقعب، وهذا أقصى ما يملكه هذا الأنصاري، لكي يشعر المسلم بعزته بين الناس، ولكي يكون ذلك دافعا قويا للعمل والجدّ، لأنه لم يبق في بيته شيء يتأمله .

الفكرة الثانية: الحركة بركة، كتب الله رزقه بعد الحركة.

" اعقلها وتوكل ": أعرابي أراد دخول المسجد: يا رسول أأرسلُ ناقتي وأتوكل، أم أعقلها وأتوكل، قال له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

" اعقلها وتوكّل "[٢].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: فيه دليل على أن الأسباب لا تنافي التوكل، بل هي من التوكل.

وقد قيل: (قلوبنا تتوكل، وأيدينا تعمل)

فالتوكل من أعمال القلوب، والعمل من أعمال الجوارح، فلا تناقض.

فالعمل العمل – أيها الأحباب – مع صدق التوكل.

وأقول للمتقاعد:

أنت متقاعد لا قاعد، لا تكن قاعدا، فالقعود يبعث الملل وافتعال المشاكل، والعمل ينشّط الفكر والصحة، ويطرح البركة في حياتك كلها.

اللهم اجعلنا من العالمين العاملين.

[٢] سنده حسن (صحيح ابن حبان بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ٧٣١).

فاقصص القصص

(3)

غارت أمكم غارت أمكم

في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي من هي ورعًا وعلمًا، كانت مضرب المثل في التقوى وسعة العلم.

أذكر أنني رأيتُ من طلبة العلم في الدراسات العليا الفقهية في جامعات عريقة من كانت مادةُ رسائله هي فقهَها - رضي الله عنها - وعمقَ فهمها للكتاب والسنة.

كان يجلس النبي الكريم صلى الله عليه وسلم - ذات يوم في بيتها - مع بعض أصحابه، إذ طرق البابَ طارقٌ، وإذا بجارية تحمل إناء يحوي طعامًا يحبه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (كما يبدو)، أرسلتْه أم سلمة إحدى زوجات الحبيب صلى الله عليه وسلم.

فوجئ الصحابة الجالسون بالسيدة عائشة وفي يدها فهر (حجارة ملء الكف) تكسر هذا الإناء ليقع ما فيه على الأرض.

قام النبي صلى الله عليه وسلم:

- فلملم الطعام بيده الشريفة.
- ثم ذهب إلى داخل البيت ليأتي بإناء صحيح.
- أعطى الإناء الصحيح للجارية التي جاءت بالطعام.
- ثم قال: " غارتْ أمُّكم غارتْ أمُّكم ".
- ويسدل الستار على القصة.

<u>أفكار القصة:</u>

١ - هذا المشهد لو حدث لأحدنا، زوجته تكسر إناء يحمل طعامًا يرغبه أمام ضيوفه وتحت سمعهم وبصرهم، فلربما استشاط غضبًا، وركبه شيطانه في الانتقام.

لكنه صلى الله عليه وسلم لم يزد على أن قال: غارت أمكم غارت أمكم.

هذه الكلمة كانت بمثابة دلوٍ من ماء بارد أطفأ النار.

فكلّ من سمع هاتين الكلمتين أيقن أن الدافع الذي دفع السيدة عائشة رضي الله عنها إنما هو الغيرة التي صوّرتْ لها أنّ أمّ سلمة رضي الله عنها تجاوزتْ الحدّ المتعارف عليه واعتدتْ على يومها الخاص بها.

والغيرة جبلة فطرية مغروسة في عواطف النساء.

إذًا: الأمر شيء جبلي طبعيّ، ليس من المروءة الاعتراض عليه، لأنه فوق إرادة المرأة.

٢ – العدل يقضي أن إناء أم سلمة المكسور يجب أن يُعوّض بإناء صحيح من آنية من كسرتْهُ.

- وانتهت المشكلة بكلمتين أنار بهما صلى الله عليه وسلم الطريق، وأزال كلّ ما قد يحوكه الشيطان في قلوب من شهد المشهد، لأنه وضع يده الشريفة على منبع الزوبعة في فنجانها.

وصلى الله وسلم وبارك عليك يا حبيب الخالق والخلق، ورضي الله عن صحابتك الأتقياء الأصفياء النجباء.

فاقصص القصص

(4)

وعند النساء العقلُ والمروءة

أبو حازم رجل عُرف بالدين والخُلُق والسماحة، يملك دكانا (محلا تجاريًا متواضعًا).

دخلتْ عليه امرأة من أهل الحيّ:

- يا أبا حازم، أنا أم أمين زوجة المرحوم أبي أمين صديقكم في المحلة، وفي المسجد.
- رحمة الله عليه، كان قدوة في الدين والأخلاق والمروءة.
- إني يا أبا حازم أرملة – كما تعرف - ، وعندي بنات، ولدي بيت، ولي راتب هو تقاعد المرحوم، كل الذي أحتاجه وليُّ أمرٍ أشعر أن بناتي في حمايته بعد حماية الله، لأني – والله – أخاف عليهم.

فكرتي: أني أعرض عليك الزواج على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أنا أعرف – يا أبا حازم – أنك متزوج، ولديك أبناء، وزوجتك أم حازم صديقتي، ووالله ثمّ والله لا أريد أن أكدّر حياتها، لأنها – والله يشهد – عزيزة عليّ، وصاحبة فضل عليّ، لكن للضرورات أحكام.

- حسنًا، أعطني ثلاثة أيام أستخير وأستشير.
- لك ذلك.

بعد أسبوع شعرتْ أم حازم أنّ زوجها لم يعد يرجع إلى البيت ظهرًا.

نادت ابنتها الصغيرة فاطمة :

- يا بنتي فاطمة بيني وبينك حديث خاص، لا أريد أن يسمع به أحدٌ، يا بنتي تذهبين ظهرًا قبيل أن يقفل والدك الدكان، في مكان بعيد، بحيث تَرَينه أنت، وهو لا يراك، ثم تتابعين خطواتِهِ بنظراتك، وتنظرين إلى أين يذهب بعد أن يقفل الباب.

لبّت البنتُ المطيعة الحافظة لسرّ والدتها الأمر، ثم جاءت والدتها بالخبر:

- إنّ والدي – يا أمي - ذهب بعد قفل الباب، ودخل بيت أم أمين.
- تعالَي – يا ابنتي الحبيبة – واسمعي الكلام جيدًا، هذا الكلام لا أريد أن يعرفَ به أحدٌ إطلاقًا لا قريب ولا بعيد.

فهمتِ الأمر ؟

- نعم فهمتُ يا أمّي الحبيبة، وسرّك في بير.

وبعد يومين استدعت الأم ابنتها الواعية فاطمة.

- يا حبيبتي فاطمة: أريدك أن تكرري المشهد ثانية، وتنظري أباك عن بعد.
- أمرك يا أمّي.

فعلت الطفلة الذكية ما أمرتْ به والدتها، وعادت لتقول:

- الأمر كما أخبرتُك – يا أمّي - قبل يومين.

وبعد مضي شهر طلبتْ – للمرة الأخيرة ولقطع الشكّ باليقين – أن تكرر ابنتها فاطمة المشهد ذاته، لتكون النتيجة ذاتها.

لكن في أثناء هذه الفترة وبعدها بقي السرّ مكتومًا بين أم حازم وابنتها فاطمة، لا ثالث يعلمه إلا الله – سبحانه -.

بقيت هذه المرأةُ العاقلةُ كتومةً لسرها، لم تخبر أحدًا من أهلها، لا إخوتَها ولا أخواتِها أبدًا، واستمرّتْ علاقتُها بزوجها هادئةً هانئة لا يكدّر صفوَها شائبة.

ومضت الأيام والأشهر توزع وقتها بين الصبر والسعادة، والالتجاء إلى الله أنيسِها في تهجدها، الذي تدعوه أن يجعل العواقبَ خيرًا.

وفي يوم غائم من أيام الشتاء داهم المرض أبا حازم، واشتدّ عليه، وظهرت علامات رحيله إلى الدار الآخرة.

وفي هدأة الليل البهيم لفظ أبو حازم أنفاسَهُ الأخيرة.

تضاعف الحزن على أم حازم التي خدمتْ زوجها خدمة قلّ نظيرها.

ولم يزل ذلك الأمر مكتومًا بينها وبين ابنتها فاطمة.

أولادُها جمعوا الميراثَ لاقتسامه، بناء على طلب أمهم.

فاستدعتِ الأمُّ أولادَها وبناتِها، لتقول لهم:

اسمحوا لي – يا أبنائي - أن أفشي لكم سرًّا تسمعونه أولَ مرة، إنّ أباكم رحمه الله قد تزوّج سرًّا من جارتنا أم أمين، وأنا كتمتُ السرّ، لأني لا أرى فائدة في البوح به.

لذلك أطلبُ منكم أن تُخرِجوا لأم أمين حقّها من الميراث، وهذا كما تعلمون واجبٌ شرعيّ، حتى يباركَ الله لنا في أرزاقنا وفي حالنا.

- لا بأس يا أماه، كلنا موافقون.

وأخرج الأولاد المباركون نصيب زوجة أبيهم أمّ أمين حقها، وذهبوا به إليها، وإذا بأم أمين تفاجِئُهم بقولها:

- أولًا جزاكم الله خيرا على أمانتكم وحرصكم على تبرئة ذمتكم، لكنّي – والله - لا أستحقّ الميراث، لأنّ أباكم - رحمه الله – طلقني قبل شهر من وفاته – عليه رحمة الله – لخلاف بيني وبينه.

حاول الأبناء أن تقبل منهم حصتها - هدية - حتى ولو حصل الطلاق، لكنها أبتْ ذلك.

واستمرّ التواصل بين العائلتين، وتبادل الزيارات، ورغبة كلّ منهما في التودد والوفاء.

<u>قال الراوي:</u>

فوالله لا أدري مِمَّ أعجب ؟

من ذكاء وصبر وبعد نظر المرأة الأولى، أم من ورع ودين الثانية.

وبقي لساني يردّد:

الحمد لله لا تزال في الدنيا بخير، ولا يزال في الدنيا من يخاف الله ويتّقيه.

(ولو خُليتْ لقُلبتْ).

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

فاقصص القصص

(5)

صاحب خمارة يتوب

في مدينة إزمير بتركيا وفي قرية من قراها كان هناك مدرسة شرعية، يدرس فيها طلاب من بلدات مختلفة، وأغلبهم أيتام، وفي المدرسة سكن خاص ومطعم يشرف عليه شيخ المدرسة ومعاونُهُ.

وفي يوم من الأيام جاء المعاون إلى الشيخ ليخبره أن طعام الطلبة قد نفد، ولم يبق شيء نطعمهم ليوم غد، وكثر الدائنون، والأمل معقود على الله وحده.

عقد الشيخ ومعاونه العزم على النزول إلى المدينة، والطواف على أهل المحلات والمتاجر لعلهم يسعفون المدرسة بطعام أو مال .

وصل الشيخ ومعاونه إلى المدينة ليلًا، فتفاجأوا أن المحلات أغلبها قد أقفل أبوابه، ولفت نظرَهما ضوءٌ بعيد، لعله محلٌّ مفتوح.

دققا النظر في هذا المحل المفتوح فإذا هم خمارة، في داخلها سكارى.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- ما تقول يا شيخي نفاتح صاحب الخمارة.
- يا ابني إنها خمارة.
- يا شيخي نحن مضطرون، والله يعلم بالحال.

وتصارعت الأفكار في قلوبهم: ندخل، لا ندخل، ماذا سنطعم هؤلاء الأيتام طلبة العلم الشرعي غدا ؟

وأخيرًا اتفقوا: ندخل وننظر.

تفاجأ صاحب الخمارة بدخول رجال معممين ملتحين، تبدو عليهم علامات الوقار والهيبة.

ترى ما الذي جاء بهم ؟

ممكن جاؤوا ليؤذونا لأننا نشرب الخمور ؟

- تفضلوا – يا مشايخ – حياكم الله.
- الله يحييك.
- نحن جئناك من القرية الفلانية، ولدينا مدرسة شرعية، أغلب طلابها أيتام، ووالله لم يبق لنا ما نطعمهم.
- نعم تفضلوا .

فتح صندوق المال، قال لهم:

- خذوا ما تشاؤون، خذوا فوق ما يكفيكم.
- لا نأخذ، أنت تتكرّمْ علينا بما تجود به نفسُك.

(حزم الرجل لهم من المال ما لم يكونوا يتوقعونه، مال كثير)

خرج الشيخ ومعاونه وهم لا يصدّقون ما أخذوه.

وفي الصباح الباكر تحرّك المعاون وبعض من يعاونه من الطلبة لشراء الخبز والطعام، ورصدوا شيئًا من المال لوفاء ديونهم.

كان صباحًا ملؤه الحمد لله والشكر له، والدعاء لصاحب الخمارة أن يهديه الله ليلتحق بركب الأوابين.

وبعد يومين تفاجأ الشيخُ ومعاونُهُ بدخول صاحب الخمارة إليهم في المدرسة، ظنوا أنه جاء بعد أن أفاق من سكره ليسترد أمواله.

لكنه دخل والدموع تملأ عينيه.

- يا شيخي الحبيب: بعد أن خرجتم بدقائق من عندي قبل يومين، أخذتني نومة عميقة، فرأيتُ – فيما يرى النائم – أن القيامة قد قامتْ، وإذا بزبانية جهنّم يجرونني جرًّا، ثمّ رأيتُك أنت يا شيخي ومعك معاونك، وخلفكم عددٌ من الطلبة يلبسون العمائم، يقولون للزبانية:
- لا والله لن يذهب هذا الرجل إلى جهنّم، إنه بالأمس أطعم الأيتام ورسم البسمة على وجوههم.

واستيقظتُ من نومي، وفي الصباح جمعتُ أولادي، واتفقنا على إقفال الخمارة، والبحث عن سبل الحلال للعيش، بل واتفقنا على التبرع بالأرض لبناء مسجد، ليُعبد الله في المكان الذي كان يُعصى فيه .

وهنا وبحركة عفوية عاجلة خرّ الشيخ ومعاونه وتبعهم الخمار ساجدين لله شكرًا على هذه النعمة، التي أسدى بها عليهم.

والله يهدي من يشاء وبما يشاء إلى صراطه المستقيم.

فاقصص القصص

(6)

صاحب المعروف لا يقع

يقول الطبيب الدكتور مراد:

وأنا في المستشفى في عملي، دخلتْ عليّ امرأةٌ عجوزٌ مجهدةٌ من المرض، ومعها شابّ كأنه ولدُها أو قريبُها.

وفي أثناء فحص المرأة رنّ الهاتف على الشابّ المرافق، فاستأذن الشاب بالخروج خارج الغرفة للإجابة على المكالمة.

ثمّ رجع، لكني لاحظتُ على وجهه علاماتِ الحزن، وتكاد الدمعةُ في عينيه تسابقه، لم أسأله، لأني لا أحبّ أن أتدخل في شؤون الناس دون أن يطلبوا ذلك مني.

سأل الشابّ الطبيبَ:

- خيرًا يا دكتور، ما حالة صحة الوالدة ؟
- لا شيء، عندها زيادة في السكر، وتحتاج إلى علاج معيّن، لكنّ هذا العلاج - مع الأسف - غير موجود في المستشفى، أرجو التفضل بشرائه من الصيدلية.
- نعم، بكل سرور.

العجوز: معذرة يا ابني، والله لقد كلّفتُ عليك، سامحني.

وخرج الشاب لشراء العلاج.

بادر الطبيبُ العجوزَ بقوله:

- ولماذا تعتذرين منه ؟ إنه ابنك، وهذا أقلُّ واجباتِه.
- لا ، إنه ليس ابني، بل صاحب معروف، وجدني أسير إليك ماشيًا، لأني لا أجد ثمن سيارة الأجرة، فوقف، وحملني إليك، والآن ذهب – أيضًا - ليشتري لي الدواء، جزاه الله خيرًا، ودفع عنه كلّ مكروه، وسخّرَ له عباده ليخدموه.

وهنا رجع الشابّ، وبيده العلاج.

وبعد أن سلّم الشابّ الطبيبَ العلاجَ، رنّ هاتف الشابّ ثانية، فاستأذن للخروج من الغرفة للمكالمة.

لكن وجه الشابّ عند رجوعه من المكالمة هذه المرة غير الوجه الأول، رجع متهللَ الوجه، باسمَ المحيّا، كأنه تلقّى خبرًا سارّا ينتظره.

وهنا تشجّع الطبيب للتدخل والاستفسار عن حزنه عقب مكالمته الأولى، وعن فرحه وإشراقة وجهه عقب مكالمته الثانية.

أجاب الشابّ والابتسامة لا تفارق محياه:

أنا من محافظة أخرى، وزوجتي – الآن - في مستشفى الولادة بولدي البكر، فالذي حصل أنّ أهلي أخبروني في المكالمة الأولى أنّ زوجتك في حاجة إلى دم من فصيلة معينة، ولم يجدوا لها هذه الفصيلة،

فرجعتُ حزينًا، داعيًا الله - عزّوجلّ – بحق ما قدّمتُهُ من مساعدة لهذه المرأة العجوز – إن كان خالصًا لوجهه الكريم - أن يفرّج همي وييسّر لي أمري.

وفي المكالمة الثانية وعقب شرائي للدواء أخبروني أن موظفين من الجمعيات الخيرية التي تعنى بحملات التبرع بالدم وصلتْ إلى المستشفى، وكان معهم دم الفصيلة المطلوبة لزوجتي، والحمد لله الذي استجاب الدعاء، وأغاثنا في وقت الحاجة، فله الحمد وله الشكر.

وصدق الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه الذي قال:

" صاحبُ المعروف لا يقعُ، فإنْ وقعَ وجدَ متّكًا "[٣].

أخي الحبيب: إياك أن يوسوس لك الشيطان فيقول: إنّ فلانًا لا يتصل بك إلا عندما يحتاجك، ولكن قل: الحمد لله الذي جعل حوائجَ الناس إليّ، ليكون هو – سبحانه – في عوني أنا، لأنّ الله في عون العبد (متى ؟) عندما يكون العبد في عون أخيه [٤].

اللهم ردّنا إليك مردًّا جميلًا، ولا تجعلنا من الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعًا، برحمتك ولطفك، يا أرحم الراحمين.

---

[٣] عيون الأخبار ٣٣٩/١.

[٤] صحيح مسلم: ٢٦٩٩.

فاقصص القصص

(7)

سهام الدعاء

الطبيب الجراح الباكستاني (إيشان) مشهور على مستوى العالم في جراحة النخاع الشوكي، قرّر أن يسافر للمشاركة في مؤتمر طبي دولي، وفي هذا المؤتمر سيجري تكريمُهُ على إنجازاته الكبيرة في علم الطب.

صعد الطبيب الطائرة ولم تمرّ على الإقلاع إلا دقائق إلا وأعلن قائدها: أن الطائرة أصابها عطل كبير يعيق استمرار سيرها، وستهبط اضطرارياً .

توجه الدكتور "إيشان" إلى استعلامات المطار ليسأل عن الوقت الذي ستقلع فيه الطائرة، فأجابوه بأنها قد تتأخر أكثر من ١٦ ساعة.

قال لهم مخاطباً:

أنا طبيب عالمي، كل دقيقة عندي قد تعيق أرواحا من الناس، وأنتم تريدون أن أنتظر ١٦ ساعة ؟!

أجابه الموظف : يا دكتور، إذا كنت على عجلة من أمرك يمكنك أن تستأجر سيارة، فالمكان الذي تريد أن تصل إليه لا يبعد عنا سوى ٣ ساعات بالسيارة.

ركب الطبيب السيارة، وبعد نصف ساعة تغير الجو، وبدأت الأمطار تهطل، وتحركت العواصف، وأصبح من العسير أن يرى السائق الطريق أمامه، لكنه ظل يسير، وبعد ساعتين أيقن السائق أنه قد ضل الطريق.

نزل الدكتور "إيشان" من السيارة بعدما أيقن أنه لن يصل إلي حفل تكريمه وحضوره المؤتمر.

لم يَعُدْ يعرف معالم الطريق وأحس بالتعب، فأخذ يبحث في محيطه عن مكان يأوي إليه .

وبعد دقائق من البحث، رأى على مسافة قريبة منه بيتاً صغيراً.

توقف الدكتور "إيشان" عند البيت، وطرق الباب.

فسمع صوتَ امرأةٍ كبيرة تقول:

تفضل بالدخول، فالباب مفتوح يا ابني.

دخل وسلّم على العجوز التي كانت جالسة على سجادة الصلاة، وبيدها مسبحة، وطلب منها أن يستعمل تليفونها، لأنّ هاتفه نفد شحنه.

ضحكت العجوز وقالت : أي تليفون يا ولدي؟ ألا ترى أين أنت؟

هنا لا كهرباء ولا تليفونات

ولكن تفضل واسترح، وخذ لنفسك فنجان شاي ساخن، وتناول من الطعام الموجود هناك حتى تسترد قوتك.

شكر الدكتور "إيشان" المرأة العجوز، وأخذ يأكل، بينما كانت العجوز تصلي وتدعو.

انتبه الدكتور "إيشان" إلى وجود طفل صغير نائم، تظهر عليه آثار المرض؛ فلا يكاد يقوي على الحراك.

على الفور تقدم الطبيب ؛ وسأل العجوز : ما بال هذا الطفل المريض؟

أخبرته أنه حفيدها الذي ترعاه، وهو يتيم الأبوين، مريض مرضًا عضالا.

ونصحني جميع الجيران والأطباء الذين راجعتهم بالذهاب إلي طبيب جراح شهير، قالوا:

هذا الطبيب وحده هو من يستطيع علاجه - بإذن الله -، لكن هذا الطبيب يعيش بعيدا جدا عن قريتنا النائية هذه، ولم يبقَ في يدي – يا ولدي - إلا أن أدعو الله تعالي أن ييسر لي لقاء هذا الطبيب الماهر حتي يكتب الله لهذا المسكين اليتيم الشفاء - بإذنه سبحانه وتعالى - حتى لو كلّفني ذلك بيعَ بيتي المتواضع هذا.

- يا أمي، هل تعرفين اسم الدكتور ورقم هاتفه ؟
- نعم إنّ جارتي كتبتْ لي اسمه وعنوانه وهاتفه، تفضل .

قرأ الطبيب الورقة، وهنا تفاجأت المرأة العجوز بانفجار الطبيب بالبكاء، واستمر بالبكاء، دون أن تعلم العجوز سبب بكائه.

- معذرة – يا ولدي – إنْ كنتُ قد تسببتُ في أذيّتك.
- لا أبدًا – يا أمي -، لكنّ الطبيب الذي تريدين مراجعته هو أنا، وهذا اسمي ورقم هاتفي.
- يا أمي:

والله ثم والله إنّ دعاءك هو الذي عطّل الطائرة وهي بين السماء والأرض، وهو الذي أجّج الأعاصير والأمطار، وهو الذي جعلني أتيهُ في الطريق، كي يسوقني اللهُ إليك سوقاً.

يا أمي: إنك امرأة صالحة، ادعي لي وأنت على سجادتك.

يا أمي لقد وصلتِ إلى ما تريدين.

في الصباح - إن شاء الله - ستذهبين وحفيدُك معي، وسأتفرّغ لك ولحفيدك، وسأخصص لك فريقًا من أطبائي وفي مستشفاي الخاص تحت إشرافي المباشر، وسوف تجدين ثمرة دعائك، شفاء عاجلا بإذن الله.

وفعلا لقد وفّى الطبيب الجراح بما وعد.

بعد وصوله إلى مدينته، لم يذهب إلى بيته إلا بعد أمّنَ لها مكان راحتها وحفيدها في مستشفاه، وجنّد فريقًا من أطبائه لإجراء الفحوصات اللازمة ريثما يعود من بيته.

وأجرى الطبيب إيشان للحفيد العملية الجراحية، وتكلّلتْ بالنجاح والحمد لله، وحصدت العجوز المباركةُ حصادَ دعائها.

ثمّ عرض الدكتور عليها السكن في مدينته لرعايتها، لكنها اعتذرت لأنها لا تريد فراق بناتها وأرحامها.

أخي الحبيب:

حينما تنقطع عنك الأسباب لا يتبقى لك إلا اللجوءُ إلى خالقك سبحانه وتعالي، فثق في أنه سبحانه سيسبب الأسباب، ويسوقها سوقا لتحقيق ما تمنيت ورجوته منه، فأخلص في دعائك وتيقّن أن الله – سبحانه – الذي يسمع دعاءك لن يخّيبك.

سبحانه رب الأرض والسماء.

ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال:

أتهـــــــزأُ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخـــطئ ولكن لها أجل وللأجل انقضـــاء

فيمسكها إذا ما شـــاء ربي ويرســـلها إذا نفذ القضاء

كن واثقًا – أخي الحبيب – ليس هناك دعاءٌ دعوتَ به اللهَ – سبحانه - إلا أجاب الله دعوتك.

ربما تقول كيف ؟

كلّ دعاء ؟

نعم كلّ دعاء .

تعال معي واقرأ حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم:

(وهوفي صحيح الترغيب) يقول صلى الله عليه وسلم:

" ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثْمٌ ، ولا قطيعةُ ُ رَحِمٍ ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاث :

إما أن يُعجِّلَ له دعوتَه ،

وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ ،

وإما أن يَصرِف عنه من السُّوءِ مثلَها . قالوا : إذًا نُكثِرُ . قال : اللهُ أكثر "

فكنْ مطمئنًّا أنّ دعواتك لا تذهب سدى، وتأمّل الخيارات:

إما أن يعجلها فتجد الإجابة أمامك في الدنيا، وإما أن تُدّخر لك في الآخرة، فكّر في هذه النقطة – معي - بعمق، وقارنْ بين رزقك في الدنيا ورزقك في الأخرى، الحياة الدنيا قصيرة ومحدودة وفانية، والآخرة ممدودة وباقية، فأيهما أنفع لك؟ ما يبقى أم ما يفنى ؟

وإما أن يصرف عنك من السوء مثلها، (أبعد الله عنا وعنكم كلّ سوء) حادث سيارة صرفه عنك، موت عزيز أزاله عنك، مصيبة لا تعرف مصدرها أبعدها عنك .

فكنْ واثقًا بربك، واطمئنَّ، فإنّ ربك معك، إذا أخلصتَ في دعائك وابتعدتَ عن الحرام وتحرّيتَ أوقات الإجابة.

ولذلك فإنّ إناسًا يُعطون حسنات كالجبال، فيقولون:

ياربّ مِمَّ هذه ؟

فيُجابوا بأنّ هذه دعواتكم التي لم تُستجبْ لكم في الدنيا، فيتمنّون أن لو لم يُستجبْ لهم دعاء.

اللهم ثبّتْ إيماننا، وأجب دعواتنا، وارزقنا الاستقامة في القول والعمل والاعتقاد، فأنت ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى والشفيع المجتبى وعلى وصحبه وسلَّم.

فاقصص القصص

(8)

النظر العميق للأمور

علي بن الفرات وزير عباسي استُوزر للخليفة العباسي المقتدر بالله ثلاث مرات، ويُعدّ في مصطلحنا المعاصر رئيس الوزراء، وبالتأكيد له صلاحيات في الدولة نافذة.

كان هناك رجل فقير مدقع الفقر (كما يقولون)، هذا الفقير سوّلتْ له نفسه أن يزوّرَ كتابًا صادرًا عن ابن الفرات إلى والي مصر أبي زنبور.

جاء في الكتاب:

إذا جاءك حامل كتابي هذا فأجزلْ له العطاء، فهو رسولي إليك.

ولمّا فتح والي مصر الكتاب وقرأه، شكّ في صحة صدوره من الوزير ابن الفرات:

١ – فيه مبالغة وإلحاح في الإحسان إلى حامله.

٢ – فيه دعاء طويل لوالي مصر، وهذا مستبعد أن يصدر من الوزير.

رحّب والي مصر بحامل الكتاب، وقال له: تفضلْ عندنا معزّزًا مكرّمًا حتى ننظر في الأمر.

كتب الوالي إلى الوزير ابن الفرات يستفسر منه عن صحة الكتاب، وأرسله بالبريد الرسمي العاجل.

وصل الاستفسار إلى ابن الفرات وهو بين جلسائه ومستشاريه وقال لهم:

ما ترون أني أصنع بهذا الرجل المزوّر:

قال أحدهم: تقطع يده.

وقال الآخر: يُقطع إصبَعُهُ الذي كتب الكتاب المزوّر به.

وقال بعضهم: يُسجن.

والوزير ساكتٌ يسمعُ لا يتكلم.

ثمّ قال: جلسائي الأحباب، هذا الرجل فقير، وقد تأمّل فيَّ خيرًا، وربما حاول الوصول إليّ فلم يستطع.

ألم يعفُ رسولنا الكريم – عليه الصلاة والسلام – عن حاطب بن أبي بلتعة الذي راسل قريش المحاربة ليخبرهم بتجهيز جيش المسلمين لفتح مكة، فأخبره الله بذلك، واعتذر أنه يريد أن يجعل له يدًا عند قريش، حتى لا يؤذوا أهله في مكة، فعفا - عليه الصلاة والسلام - عنه، لأنه كان بدريًّا ؟

أخذ الوزير ابن الفرات كتاب والي مصر وكتبَ عليه:

نعم هذا كتابي، فأجزلْ له العطاء، بارك الله فيك.

ومضت الأيام وإذا رجلٌ ذو هيئة حسنة يستأذن على الوزير، أكبّ على يد الوزير فقبّلها، وحاول أن يقبّل قدمه، فمنعه الوزير وقال له:

من أنت يا بارك الله فيك ؟ قال:

- أنا الرجل الذي زوّر كتابك إلى والي مصر.
- بشّرني هل أعطاك ما أؤمله ؟
- نعم، أعطاني عشرين ألف دينار.
- الحمد لله، لعلها سدّتْ حاجتك.
- وزيادة، والشكر لله ثمّ لك أيها الوزير النبيل.

جلس إليه الوزير واختبره، فعرف ذكاءه ومواهبه، فعيّنه موظفًا في ديوانه.

وأسدل الستار على القصة، بفضل بعد نظر الوزير علي بن الفرات رحمه الله وأجزل مثوبته.

العبرة:

ليس كلّ خطأ يؤاخذ عليه فاعله، إذا عرفتَ أنّ فاعلَه ذو طويّة حسنة، وله تاريخ وسجلّ حافل بالحسنات.

والفراسة وبعدُ النظر يحكمان في ذلك.

فكم مخطئٍ تابَ بعد العفو عنه، فكانت توبتَّهُ وقودًا تدفعُهُ لحياة جادّة مخلصة، فأصبح عَلَمًا يُشار إليه في التقوى والصلاح.

فكنْ بصيرًا في أمورك، ولا تتعجّلْ في الحُكم على الآخرين باديَ الرأي، واصبرْ فما عاقبة الصبرِ إلا الخير.

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم رحمة الله وبركاته

فاقصص القصص

(9)

صاحبُ النَقْب

في معركة من المعارك، والمسلمون يحاصرون مدينة من مدن الروم، والمدينة مطوّقة بحصون قوية.

طالت الأيام على المجاهدين، وعظمتْ محنتهم.

وفي ليلة من ليالي هذا الحصار تقدّم مجاهد شابٌّ إلى الحصن، ونقب فيه نقْبًا، ثمّ وسّع ذلك النقْب حتى أتاح للمقاتلين دخولَ المدينة، وتمّ فتحها، وهلّل المسلمون وكبّروا، ودخل الناس في الإسلام، واستتبّ الأمن .

جمع القائد جنوده لكي يتعرّف على الشابّ صاحب النقب، الذي أسدى – بعد توفيق الله – للمسلمين فضلًا كبيرًا، لكي يكرمه على ما فعل، فنادى بأعلى صوته:

- مَنْ صاحب النقب ؟
- لا أحد يجيب.

كرّر السؤال مراتٍ، لكن بدون إجابة.

وفي اليوم التالي جمع القائد جنوده جميعًا ونادى:

- بالله عليك يا صاحب النقب، وبحقي عليك، إلّا جئتني في خيمتي في أي وقت شئتَ من ليل أو نهار.

وفي مساء اليوم الآتي جاء رجلٌ ملثمٌ يطرق باب خيمة القائد.

سلّمَ على القائد وقال له:

إنّ صاحبَ النقب يريد مقابلتك لكن لديه ثلاثة شروط:

١ – أن لا تسأله عن اسمه.

٢ – أن لا تقدّم له أي هدية.

٣ – أن تكون راضيًا عنه.

هو يرغب أن يجعل ذلك خبيئة عند الله، لذلك يرفض أيّ مكافأة أو تقدير.

قال القائد:

- نعم، له ذلك.

وهنا فتخ الشابّ اللثام عن وجهه وقال:

أنا صاحبُ النقْب.

قبّله القائد عل رأسه، وطلب منه أن يدعوَ له.

وكان القائد يقول لجلسائه:

والله ما أصابتْني محنةٌ إلا دعوتُ الله أنْ يكشفها عنّي بحق صاحب النقب.

- **أفكار القصة:**

الخبيئة عند الله عملٌ نبيل وهدفٌ ينبغي أنْ يسعى إليه كلُّ مسلم، ففي صحيح الجامع:

يقول عليه الصلاة والسلام " من استطاع منكم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعلْ "

الخبيئة وجمعها خبايا، هي المستور المخفي، الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان في السرّ دون أن يعلم بها أحدٌ، بعيدة عن الرياء، وهي أعمال تحظى برضا الله وثوابه العظيم.

صدقة السرّ، دموع السر، دعاء الخفاء، صلاة الليل، قضاء دَين محتاج، كفالة يتيم.

كلّ هذه الخبايا ستستقبلك هناك: " يوم تُبلى السرائر ".

وفي الدنيا قد يأتيك يوم شديد، تضيق به الصدور، فتُخرج هذه الخبيئة لربك ليكشف عنك ما ابتلاك به.

وفي حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، وهم في الغار، كلٌّ منهم أخذ يبحث عن خبيئة لينجوَ من محنته.

يقوا الشيخ الطريفي: (كلما زاد خفاء الطاعات زاد ثباتك، مثل وتد الخيمة، يثبتُ ظاهره بقدر خفاء أسفله في الأرض).

سأل رجل حذيفة بن اليمان:

هل أنا من المنافقين ؟

قال له: أتصلي إذا خلوتَ، وتستغفرُ إذا أذنبتَ ؟ قال: نعم إن شاء الله.

قال: اذهبْ فما جعلك اللهُ منافقًا.

ومن السبعة الذين يظلهم اللهُ في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله:

" ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلمَ شمالُهُ ما تنفقُ يمينُه، ورجلٌ ذكرَ اللهَ خاليًا ففاضتْ عيناه "

وقال ابن المبارك: ما رأيتُ رجلًا ارتفع مثلَ مالك – رحمه الله - ، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون السريرة.

انظر إلى زماننا – عافانا الله وإياكم –:

إذا ختم أحدنا القرآن أو عمل عمرة نشرها على وسائل التواصل، بل إنّ أحدهم يرفع يديد بالدعاء عند الكعبة المشرفة، أو يفتح المصحف متظاهرًا أنه يقرأ القرآن في الحرم، كلّ ذلك من أجل التصوير والنشر.

كان من وصايا السلف الصالح: اكتم الحسنة كما تكتم السيئة.

علي بن الحسين رضي الله عنه كان ذا مال ولم يكن الناس يرونه ينفق، فكانوا يتهمونه بالبخل، فلما تُوفي عرفوا أنه كان يعيل مائة بيت في المدينة، وقد رأى من غسّله رأى على ظهره آثار حمل أكياس الطعام.

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، واجعلنا من المخلِصين المخلَصين.

فاقصص القصص

(10)

القاضي العادل

أورد الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وحسنه الشيخ الألباني:

أنّ النبيّ – عليه الصلاة والسلام – أرسل سيدنا عليًّا – كرّم الله وجهه – إلى اليمن.

وفي قرية من قرى اليمن حفر أهلها حفرة في رأس رابية مرتفعة لصيد الأسود.

وفي اللغة العربية تُسمى هذه الحفرة: زُبية، وجمعها زُبى، وفي المثل العربي: بلغَ السيلُ الزُبى، يُضرب للأمر إذا جاوز الحدّ، وذلك إذا كان السيل جارفًا مجحفًا قد وصل في ارتفاعه إلى الزّبي في رأس الرابية.

حفروا الزُبية وغطّوها بالأغصان والأشجار، وجاء الأسد فوقع فيها، اجتمع حول الزبية شباب من القرية ليشاهدوا الأسد في الحفرة، زلقتْ رِجْلُ أحد الشباب فوقع فيها، لكن هذا الشابّ – وهو ينزلق – أمسك بيد شابّ آخر فسحبه إليه، وسحبَ الشاب الثاني ثالثًا، فسحبَ الثالث رابعًا، فأصبح الشباب الأربعة في الحفرة في ضيافة الأسد المنكوب.

طبعًا كانت فرصةُ الأسد سانحةً للانتقام من الذين خدعوه وأوقعوه في الزبية.

ووقع ما توقعه المتحلّقون حولها، من فتك الأسد بهم، وتقطيعهم إربًا إربًا، فبادر أحد الحضور فتناول حربة حادة فلق بها رأسَ الأسد ثأرًا لأصحابه.

وانتهت المعركة بموت الشباب الأربعة - عليهم رحمة الله - والأسد.

جاء أهل القرية إلى سيدنا عليّ ليحكم في ديات القتلى، فقال لهم:

إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم به فهو القضاء، وإلا حجر بعضكم على بعض حتى تأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فيكونَ هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له.

اج من قبائل الذين حضروا البئر ربع دية وثلث دية ونصف دية ودية كاملة، فللأول ربع الدية لأنه هلك بسببه ثلاثة، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، وللرابع الدية كاملة.

أما الشابّ الرابع الذي لم يتسبب بقتل أحد فلأهله دية كاملة، والثالث الذي كان سببًا بقتل الرابع فلأهله نصف الدية، والثاني الذي تسبب بقتل الثالث والرابع فله الثلث، وأما الأول فله الربع فقط لأنه تسبب بقتل ثلاثة، وهو رابعهم.

أبلغ سيدنا عليّ أهل القرية بحكمه هذا، لكنهم رفضوه، وعزموا على سماع حكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم - .

شدّوا الرحال إلى النبيّ الكريم – عليه الصلاة والسلام – فوافوه عند مقام إبراهيم، وقصوا عليه القصة، وأخبروه بحكم عليّ.

فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أنّ الحكمَ هو حكم عليّ.

العبرة: أنّ الفتوى والحُكم القضائي الشرعي لا يحتاج فقط إلى معرفة النصوص والتأكد من صحتها، وإنْ كانتْ هذه ضرورية، بل تحتاج إلى إعمال العقل بدقة، والموازنة بين مفردات المسألة.

اللهم فقّهنا في ديننا، وارزقنا البصر والبصيرة فيه.

فاقصص القصص

(11)

اكتئاب الملياردير ماسك

كلكم يعرف ذلك الملياديرالأمريكي الشهير الذي موّل حملة انتخاب ترامب بالملايين: إيلون ماسك، صاحب منصة x التي كانت تسمى تويتر، ومالك العديد من الشركات مما جعله يتربّع على قائمة أغنى رجل في العالم.

نشرت صحيفة نيويورك تايمز أن ماسك هذا يتعاطى المخدّرات.

لم ينتظر ماسك طويلًا حيث ردّ على الصحيفة قائلًا:

نعم إنه يتناولها بناء على توصية طبيبه للتخفيف من بعض الكآبة التي يعاني منها.

سؤالي هو:

هذا الرجل الثريّ المتخم مريض بمرض الاكتئاب ؟

والاكتئاب حالة من الحزن العميق المخيف الذي قد لا يُعرف مصدره، والذي يجعل صاحبه لا يهنأ بأكل أو نوم أو سياحة، بل إنه يستخدم هذه المتَع ليخفّف عن هذه الحالة التي تتلبّسه.

أليس هذا غريبًا ؟ ألا يدعو إلى التساؤل ؟ ما مصدر هذا الاكتئاب وكلّ الدنيا بين يديه ؟ مال وسياحة وجنس وخمور وترفيه.

أيها الإخوة الأحباب:

خلق الله – سبحانه – الإنسان مؤلّفًا من عنصرين أساسيين: جسمٍ وروح.

فالإنسان المادي البعيد عن الله يظنّ – بغبائه – أن السعادة تكمن في إشباع رغبات الجسد، فأخذ يجمع من ملذات الحياة ما يخدّر ذلك الجسد المادي، وترك روحه التي هي مصدر استقراره، والروح لا تستقر إلا بقربها من فاطرها " قل الروح من أمر ربي ".

ومن هنا قد تجد فلاحًا في قرية نائية قانعًا بما رزقه الله، يوحّد الله ويصلي الصلوات الخمس ويقرأ القرآن ويستغفر الله ويصلي على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ويصحب الصالحين من عباده، ويكفّ لسانه وسمعه وبصره عن الحرام، تجده مسرورًا مبتسمًا متفائلا، يسأل الله حسن الخاتمة والعافية في الدنيا والآخرة، في الوقت الذي تجد الأغنياء يعانون ما يعانون من الأمراض الحسية والمعنوية، لأنه أهملوا جانب الروح التي لا تستقر إلا إذا كانت قريبة من الله بارئها.

والآن تعال معي – أخي الحبيب – نقرأ قوله – سبحانه - :

" وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ".

ما هي المعيشة الضنكا ؟ قال المفسّرون هي المعيشة الضيّقة، التي تضيق على صاحبها، ولو كان يملك ما يملك.

بينما نقرأ في آية أخرى :

" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" .

تأمّل الفرق بين المعيشة الضنكا للمعرضين عن ذكر الله، والحياةِ الطيبةِ للمؤمنين الذين يعملون الصالحات.

وفكّرْ - بعمق – في وعد الله المؤكّد " فلنحيينّه " لام التوكيد، ونون التوكيد الثقيلة.

لك الحمدُ يا ألله أنْ هديتنا إليك، اللهم ثبّتنا، وارزقنا الأُنس بقربك، وحقّق رجاءنا فيك، يا أكرمَ مَنْ سُئل، يا ربّ العالمين.

فاقصص القصص

(12)

جبر الخواطر

عائشة الصدّيقة بنت الصدّيق رضي الله عنها مرّتْ بمحنة معروفة؛ وهي ما سمّيت بحادثة الإفك، فكانت - قبل أن تتضحَ الحقائق لكل ذي بصيرة، وتنزلَ براءتُها من السماء – تمرّ بحالة حزن شديد مصحوبٍ بتوكّل صادق على الله، بسبب ما تلوكه ألسنة المنافقين من ظلم قاسٍ.

دخلتْ عليها امرأة من الأنصار، فبكتْ وبكتْ كثيرًا، ثم انصرفتْ دون أن تنطق بكلمة واحدة.

تقول عائشة – رضي الله عنها -: والله لا أنساها لها.

هذا – أيها الأحباب – يُسمى: جبر الخواطر.

ما معنى كلمة جبر الخواطر ؟

أرأيتَ الجبيرة التي توضع على ساعد اليد – عافانا الله وإياكم - المكسورة ؟

هذه الجبيرة تجبر الكسر.

فهذه المرأة التي زارت السيدة عائشة ببكائها وصمتها كأنها تقول:

نحن معك يا عائشة، نتألّم لألمك، ونرجو الله – جلت قدرته وعظمته – كما ترجين أنْ يفرّج الكرب، ويدفع الهمّ، فإنّك أثيرةُ حبيب الله وحبيبتُهُ، ولن يتركك الله أبدًا.

جبر الخواطر.

جبر الخواطر – أيها الأحباب - لا يحتاج في كثير من الأحيان إلى بذل مال أو جهد، سوى أنْ تربّتَ على كتف المحزون، وتخفّفَ عنه أحزانه، وتذكّرَهُ أن له ربًّا يسمع الشكوى ويزيل الكرب.

كعب بن مالك – رضي الله عنه – أحد الثلاثة الذين خُلّفوا في غزوة تبوك، أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمقاطعتهم، حتى أمر نساءهم باعتزالهم،" حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثمّ تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التواب الرحيم ".

علم الله صدقهم فنزلت توبة الله عليهم وفرحوا، وجاء الفرَج من السماء، دخل كعب بن مالك إلى مسجد المصطفى – عليه الصلاة والسلام – فقام إليه طلحة بن عبيد الله من بين كلّ الصحابة، قام إليه واعتنقه وبارك له، يقول كعب:

فو الله لا أنساها لطلحة.

جبر طلحةُ كسرَ أخيه كعب، فلم ينسَها له.

ويقال: إنّ امرأة طلبتْ من جارتها قليلا من الملح لطعامها، فقال لها ابنُها:

يا أماه، أمسِ جئتُكِ بكيس من الملح، فلماذا تطلبين من جارتك.

قالتْ له: يا بُنيّ إنّ جارتَنا امرأة فقيرة جدًّا، وكثيرًا ما تطلب منها أشياء لبيتها وطعامها، فأردتُ أنْ أشعرها أننا نحن أيضًا نحتاج إليها كما هي تحتاج إلينا.

جبر الخواطر كما يقول سفيان الثوري – رحمه الله -:

(ما رأيت عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه مثل جبر خاطر أخيه المسلم *

مواساة شخص حزين, التخفيف عن شخص مكروب أو مهموم, إدخال السرور على قلب طفل أو مسن, تقديم المساعدة لمن يحتاجها, الكلمة الطيبة والتشجيع .

لقد جبر الله خاطر عبد الله بن أم مكتوم الرجل الكفيف الذي جاء إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – يريد أن يتعلم منه، في وقت كان النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – مشغولًا بإسلام صناديد قريش، طامعًا أن يسلم بإسلامهم من خلفهم من القبائل.

عبس الرسول – صلى الله عليه وسلم -، ورأى أنْ ليس هذا وقتُ طلبه، وحتى هذا العبوس لم يرَهُ عبد الله بن أم مكتوم لأنه أعمى.

ومع ذلك فقد جبر الله خاطره فأنزل فيه قرآنًا:

" وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (5) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (7) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (8) وَهُوَ يَخْشَىٰ (9) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (10) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ".

فكان – عليه الصلاة والسلام – بعد هذه الواقعة إذا أقبل إليه عبد الله بن أم مكتوم يقول:

مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، فيُجلسه ويُكرمه.

وقد استخلفه – صلى الله عليه وسلم - عند سفره على المدينة مرّتين، ومن سيرته رضي الله عنه أنه حمل راية المسلمين في معركة القادسية.

ونستشفّ من القصة أن لا تغرّنا المظاهر، فكبراء قريش ليس لهم قيمة عند الله ما داموا على كفرهم، ورجلٌ أعمى من عامة الناس يُنزل الله فيه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة لأنّ قلبه عامرٌ بالإيمان.

أسأل الله – عزّ وجلّ – أن يجعلنا ممن يَجبر خواطر الناس، فيَجبر الله خواطرنا.

وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(13)

عجائبُ القَدَر

في أثيوبيا (بلاد الحبشة) وبعد سقوط آخر إمبراطور فيها (هيلاسيلاسي) حكم البلادَ الحزبُ الشيوعي بالحديد والنار، ضيّق على المسلمين، وأذاقهم صنوف العذاب.

في الجامع الكبير في العاصمة (أديس أبابا) كان هناك عالمان شقيقان يشهد لهما مَن يعرفهما بالعلم والدعوة، ولهما طلاب علم لا يُحصون.

أما الأول فقد جلس بين طلابه وذكّرهم بالله، وأخبرهم أن الحكام الشيوعيين قد أفسدوا في البلاد، ومنعوا حجاب النساء، واعتقلوا الشباب الملتزم، وضيّقوا على المصلين عبادتهم، فلم يَعُدْ لقراءة العلم ثمرة، لذلك أرى أنّه قد حان وقت الجهاد في سبيل الله، وإفهام الحكام الظلمة أنّ المسلمين أعزاء، ولا سبيل إلى إذلالهم، والقضاء على دينهم (كما يدّعون).

فما رأيكم ؟

قالوا: نعم، توكلنا على الله.

أخذ هذا الشيخ يجمع الجموع ويُعِدّ السلاح، ويوضّح للناس أن لا سبيل إلى صدّ ظلم الظالمين إلا الجهاد.

جمع طلابه والمؤيّدين، ودرّبهم، ونشرهم على الجبال والغابات ليواجهوا جيش الظلم والطغيان.

فعلًا أذاقوا المدافعين عن الظلمة صنوف التنكيل.

فأصدر الحاكم أمره بملاحقهم، وسخّر جنده واستخباراتِهِ للقبض عليهم، لا سيما رأسهم الأول الشيخ المجاهد.

أما أخوه الثاني فله رأي مناقض لرأي أخيه الأول، حيث يرى أنّه لا قِبَلَ له ولا طاقة لمجابهة جيش مدجّج بالسلاح والمال والعتاد والإعلام.

لذلك فقد أكرمه هذا الحاكم الظالم، وفتح له القنوات الإعلامية ليبيّن للناس خطر ما يقوم به أخوه، وانّ أخاه ليس إلا زعيمًا لعصابة إرهابية تعشق الدماء وتنادي بالفوضى، وتقويض النظام العادل الذي يضطلع به الحاكم.

ظلّتْ الأمور تسير على هذا المنوال.

رجلٌ يرى أنّ لا سبيل إلى دفع الظلم إلّا بالجهاد في سبيل الله، وإعداد المستطاع من القوة لدفع الظلم والظالمين.

وآخر يرى أنْ لا طاقة له بمواجهة جيش دولة، لا يتورّع في إحراق البلاد والعباد.

وفي صباح يوم كئيب خرج الحاكم الظالم على شاشة التلفزيون ليعلن فرحته وحنكته في إلقاء القبض على الشيخ الأول المجاهد وإيداعه في السجن المشدّد، ونشر صورته وهو ملقىً في زنزانته.

كان هذا اليوم يومَ ثلاثاء حيث صدر الأمر بإعدامه، وحدّدوا صباح يوم السبت الآتي موعدًا لتنفيذ الحكم.

حزن من حزن ممن يعرفون الشيخ وإخلاصه، وفرح من فرح ممن يمالئون النظام .

وفي ليلة من الليالي، وفي تجليات السحر حيث يتنزل ربُّنا لسماع أنين المظلومين، وشكوى المقهورين وقف الشيخ بين يدي ربّه – سبحانه – مناجيًا:

يا ألله يا ألله يا ألله يا من تسمعُ وترى، اللهمّ إن كنتَ تعلم أنّي ما خرجتُ إلا لنصرة دينك، والدفاع عن أوليائك ففرّج عني ما أنا فيه من الكرب.

وطلع الفجر الصادق ليقف الشيخ بين يدي مولاه – تقدستْ أسماؤه – يبثه الشكوى.

وبعد بزوغ الشمس وإرسال أشعتها الذهبية الدافئة في صباح شتويّ، كان من عادة إدارة السجن أنْ تُخرجَ المساجين - ساعة كل صباح - إلى ساحة السجن ليروا شمسها ويتدفؤوا بدفئها.

وقف الشيخ بين جموع المساجين، وعينُه إلى السماء، مرتقبًا فَرَجَ الله.

لحظ الشيخ أحد الرجال المنظفين الذين يجمعون القمامة، وهو يدعُ مكنسته ومكرفته في الأرض.

خطرت في قلب الشيخ خاطرة، وهي أن يحمل المكنسة والمكرفة ويمثّل دور المنظّف، ويخرج من السجن، خرج الشيخ محفوفًا بعناية الله وحفظه من الباب الأول الذي ظنّه حراسه أنه أحد عمال النظافة، وبقي الباب الرئيسي، فرأى الحراس مشغولين، ومن رآه منهم فقد رأى عامل نظافة.

وبعد أن تجاوز حدود السجن، أسرع الشيخ إلى أهله وأولاده، فاصطحبهم.

سار بأهله من مركب إلى مركب، ومن سيارة إلى سيارة حتى عبَرَ حدود البلاد.

أما أحداث السجن بعده فكانت كما يلي:

أدخل السجانون النزلاء إلى زنازينهم بعد انتهاء ساعة التشميس، وبعد التعداد وجرد الأسماء، فوجئوا بفقد الشيخ، المطلوبِ الأولِ للدولة، والمحكوم عليه بالإعدام صباح السبت.

لم يعثروا للشيخ على أثر، وثارتْ ثائرة مدير السجن، وأيقن أنّ رئيس الدولة إذا علم بهروب الشيخ فإنّ رأسه سيكون الجزاء.

خرج مدير السجن – مسرعًا – إلى أخي الشيخ الذي يصطفّ مع الدولة – خوفًا وطمعًا - .

دخل المدير إلى مسجد الشيخ بحذائه – وعيناه تقدح نارًا -، فوجد الشيخ كعادته بين يدي طلابه يلقنهم دروسه.

تفاجأ الشيخ بهذا المنظر المرعب الذي لم يكن يألفه من مدير السجن الذي يعرفه، والذي كان – من قبل – حانيًا متلطّفًا.

- أين أخوك فلان ؟
- أخي فلان ؟
- نعم.
- إنه عندكم في السجن، ونحن ننتظر يوم السبت ليرتاح الناس من إرهابه.
- أقول لك: أين أخوك المجرم ؟ قل لي: أين هو ؟
- والله لا علم لي به إلّا أنه عندكم.

لم ينتظر مدير السجن الموتورُ طويلا، فقد أخرج مسدّسه وسدّد طلقاتٍ في رأس الشيخ، وأرداه قتيلًا بين يدي طلابه، وسالتْ دماء الشيخ على سجاد المسجد، ومات في الحال على يدي من مالأهم، وبذل كلّ ما في وسعه لإرضائهم.

أما الشيخ الأول فقد أوصلته عناية الله إلى مكان هو الأكثر أمانًا في بقاع الأرض، والتفّ حوله طلابٌ عرفوا علمه ومكانته لا سيما في علم الحديث، وشرح صحيح مسلم وصحيح النسائي في مجلدات تقرب من المائة مجلد،

وتُوفي ودُفن في أطهر تربة على وجه الأرض بعد أن ناهز التسعين عامًا، رحمه الله ورضي عنه وأقرّ عينه بما يحبّ ويرجو من مولاه – سبحانه وتعالى -.

" فاقصص القصص لعللهم يتفكّرون "ز

من أفكار القصة:

(اطلبْ الموت تُوهبْ لك الحياة) عبارة تُنسب إلى سيدنا أبي بكر الصدّيق، قالها لخالد بن الوليد رضي الله عنهما.

الشيخ الأول طلب الموت في سبيل الله فوهبتْ له الحياة الهانئة، وأخوه خاف من الموت فداهن ونافق فجاءه الموت على عجل.

" وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ".

" وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ".

" وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ".

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتَنا.

اللهم صلّ وسلمْ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(14)

من ترك شيئًا لله عوّضه الله

في أيام الدولة العباسية كان هناك شابٌّ بدوي يعيش وأهلُهُ في الصحراء، يتنقّلون حيث الكلأ والعشب والماء، تتوزّع معيشتهم بين الإبل والبقر والغنم والزراعة وما ينتج منها.

قال الشابُّ لأبيه: يا أبتِ سمعتُ أنّ في بغداد علماءَ أفذاذًا يعلمون الناس مختلف العلوم والفنون، فلو أذنتَ لي أتعلّم العلم في الصباح، وأدخل السوق في المساء أبتغي رزق الله.

دخل الشابّ بغداد فأخذ ينهل من علوم علمائها، ويطلب رزق ربّه.

فكان يوزّع ما يكسبه من الرزق أثلاثًا، ثلثٌ لمعيشته، وثلث يرسله لوالده في البادية، وثلث لإيجار مسكنه في خان من خانات بغداد.

مضتْ حياته بين العلم وطلب الرزق فترة لا بأس بها.

وفي سنة من السنين أصابتْ بغداد موجةٌ من القحط واحتباس السماء، فضاقتْ ذاتُ يده، حتى أنذره صاحبُ الخان ثلاثة أيام، ليسدّد أجرته، وإلّا فإنه سيرمي فراشه وملابسه في الشارع.

مضى اليوم الأول منها ببطء شديد، وحيرةٍ تنتابه لا يجد لها حلًّا، وجاء اليوم الثاني (كأنّ نجومه بكل مغار الفتلِ شُدّتْ بيذبل) كما يقول امرؤ القيس، وفي اليوم الثالث الأخير يقول الرجل:

خرجتُ لا ألوي على شيء، لا أدري إلى أين أذهب، ثمّ التفتُّ فإذا أنا خارجَ بغداد، وأمامي بيتٌ منفردٌ وحده في فلاة، بابُهُ مفتوحٌ نصفهُ، قلتُ لنفسي:

ما يمنعني من الاستئذان والدخول، لعلي أجدُ فَرَجًا.

طرقتُ البابَ وإذا بصوت رجل كبير يناديني أنِ ادخلْ.

سلّمتُ على الرجل، وقبل أنْ أسأله عن حاله بادرني هو يقص عليَّ:

يا بُنيَّ، إنّ قصتي غريبة، كانتْ عندي وأخي تجارة ناجحة بين السند والهند وبغداد، إلى أن فاجأنا في ليلة من الليالي – ونحنُ ضمن قافلة كبيرة من التجار- قُطّاع طرق، ونحنُ نازلون للاستراحة.

وعندما شاهدتُ قطاع الطرق هؤلاء من بعيد أخذتُ مالي ومال أخي فدفنتُهُ في مكان تحتَ شجرة.

وفي وسط الصخب بين الناس أخذتني سِنَة قاهرة من النوم، فلم أستيقظ إلى الفجر.

انتبهتُ مذعورًا أبحث عن أخي فلم أجده، ووجدتُ قتلى وجرحى وبعثرة عنيفة في المكان، فعرفتُ أنّ قطاع الطرق ولّوا بعد أنْ سرقوا ما يريدون، وطفقتُ إلى مكان مالي ومالِ أخي فأخذتُهُ ورجعتُ إلى هنا كما ترى.

- أخي العزيز: اسمحْ لي أنْ أتعبَك معي، سمعتُ أن موسم العنب قي بغداد قد حان، فهل لي أن أكلّفك بشراء كيلو منه.
- بكل سرور يا عمُّ.

قال الرجل: ذهبتُ ماشيًا إلى بغداد، ووالله لا أملك قيمة العنب، إلا أنّي جعلتُ قميصي رهينة عند البائع ريثما أوُفِيهِ.

وجئتُ بالعنب، فاستبشر الرجل العجوز بالعنب، وأكل، ثمّ قال:

يا بُنيّ، والله لا أرى منيّتي إلا وقد دَنَتْ، فهذا المال كلّه لك، تغسّلني وتكفنني وتصلّي عليّ، ثم تدفنني وتدعو لي.

فما كانتْ إلّا ليلةٌ قضيتُها معه حتى أسلمَ نفسه إلى بارئها.

وبعد أن نفّذتُ وصيّتَهُ رجعتُ إلى بغداد لأوفي بائع العنب درهمه – أوّلًا - وآخذَ قميصي.

ثمّ بعد ذلك جئتُ شاطئَ دجلة للبحث عن قاربٍ يوصلني إلى الضفة الأخرى لأوفيَ صاحب الخان أجرتَهُ، بعد أن أكرمني الله بهذا الرزق الوفير.

نظرتُ في قوارب النهر فإذا القوارب منها ما هو فاخر جميل وثير، ومنها ما هو متوسط، ومنها متواضع.

ثم لحظتُ قاربًا يبدو عليه المسكنة والفقر، قلتُ أذهبُ إليه لأنفع صاحبه الذي يبدو عليه الحاجة.

سلّمتُ عليه وأخذتُ مكاني في قاربه المتواضع، ثم تجاذبنا أطراف الأحاديث، ثمّ فاجأني:

- لعلك استغربتَ من قاربي المتهالك هذا، والله – يا أخي الكريم – لقد كنتُ تاجرًا أقطع الأرض بين السند والهند وبغداد أنا وأخي.

وفي ليلة من الليالي اعترضنا قطاع طرق أخذوا كل ما وجدوه في القافلة، لكنّ أخي – سامحه الله – خانني واستغلّ الأمر، فدفن مالي وماله تحت شجرة، يعرف هو مكانها، وبعد انصراف قطاع الطرق أخذ مالي وماله، ولم أعثر له على مكان.

لذلك ترى ما أنا عليه من الفقر.

وهنا أدرك صاحبُنا أنه دخل في امتحان صعب.

ترى هل يسكت ويأخذ المال (فلا أحدَ يعرف) بعد أنْ تيقّن أن صاحبَ هذا القاربِ هو صاحبُه الشرعي ؟

أم أنّ يقينه بالله يخبره أنّه سيأتي يومٌ يقف فيه بين يدي الله يُنبئُهُ بالصغيرة والكبيرة، ويحاسبه على ما اقترفتْهُ يداه ؟

وتصارع في قلبه داعيان: داعي الرحمن وداعي الشيطان، لكنّ الله أكرمه فانتصر على داعي الشيطان، وبادر بالقول:

إنّ أخاك لم يخنك، فغلّبْ – يا أخي - حسن الظن بأخيك، وقصّ عليه قصة أخيه، وقام بشجاعة إيمانية ودفع المبلغ كله إلى صاحبه، رافضًا أن يأخذ مقابل أمانته شيئًا، وطلب منه السماح عن الدرهم الذي دفعه لبائع العنب، ونزل من القارب متوكّلًا على من بيده الرزق كله.

فوالله ما هي إلّا خطوات في شارع من شوارع رصافة بغداد إلّا وينابيه شرطي من شُرط الدولة:

- ألستَ فلانَ بنَ فلان ؟
- نعم أنا هو.
- إنّ ديوان الدولة يبحث عنك منذ زمن.
- خيرًا.

- ألم تكن قد تقدّمتَ على وظيفة في الديوان، وحسُنَ اختيارك، إلا أنهم اعتذروا لك لعدم وجود شاغر.
- نعم.
- لقد مات رئيس شعبة الإنشاء، وهم يطلبونك الآن.
- الحمد لله ربّ العالمين.

ويتسلّم صاحبُنا هذه الوظيفة المرموقة، ويُعطى راتبًا شهريّا مقدّمًا، فيسدّد ديونه في الخان.

وظلّ يردّد بينه وبين نفسه:

" من ترك شيئًا لله عوّضه الله "

صاحبُنا هذا – أيها الأحباب – هو ابن هبيرة أبو المظفر يحيى بن محمد الشيباني الدوري العراقي الحنبلي، الوزير العباسي المعروف، مؤلف كتاب: الإفصاح عن معاني الصحاح، في عشرة مجلدات كما يقول الذهبي، شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم.

"إنك لن تدع شيئا لله عز و جل إلا بدّلك الله به ما هو خير لك منه ".

كما صحّ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

فاقصص القصص

(15)

رحلة شاقة في طلب العلم

بقي بن مَخْلَد محدّث كبير من أهل الأندلس، صاحبُ أوسع مسند في الحديث على الإطلاق، وصاحب تفسير قال عنه ابن حزم: (أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثلُ تفسير بقي).

هذا الرجل سمع بالإمام أحمد بن حنبل في بغداد، سمع عن علمه وروايته للحديث وورعه، فعزم على شدّ الرحال إليه.

كيف السبيل إلى بغداد، وهو في الأندلس، وهو فقير لا يملك المال.

توكّل على الله وعزم أنْ يسافر صاحبنا مشيًا على الأقدام، وكلما وصل إلى قرية عمل فيها وكسب ما يسدّ حاجته وما يوصله إلى القرية الآتية، حتى وصل إلى بغداد (أكثر من خمسة آلاف كيلو متر، قطعها في حدود سنتين لطلب العلم) فسأل عن الإمام أحمد فقيل له: إنه مسجون.

انتظر حتى خرج الإمام من السجن، لكنّ – المفاجأة – أنّ الحاكم منع الإمام من الاختلاط بالناس، منعه من التدريس، وفرض عليه الإقامة الجبرية، وبثّ العيون حوله للتأكد من عدم اختلاطه بالناس، لكن بقي بن مخلد – رحمه الله – ابتكر حيلة للقائه.

لبس لباس السائل المتسوّل الشحاذ، وسأل عن بيت الإمام وطرق الباب وهو يقول:

الأجر رحمكم الله، الأجر رحمكم الله (وكان هذا أسلوب الشحاذين في ذلك الزمن).

فخرج إليه الإمام، فسارّه بقي بن مخلد، بأنه رجلٌ غريبٌ، وليس متسوّلا، بل هو طالبُ علم، طالبُ حديث، ومقيّدُ سنة، جاءك من أقصر المغرب .

- من أفريقيا ؟
- بل أبعد، إذا أردنا أفريقيّا ركبنا البحر، أنا من الأندلس.
- يا بُنيّ، والله لقد وددتُ أن أكرمَك، وأبذلَ لك كلّ ما أستطيع، ربما علمتَ ما أنا فيه، أنا ممنوع من لقاء الناس، ممنوع من التدريس.
- عرفتُ ذلك – يا سيدي – لكن اسمح لي أن أقول لك:

سآتيك كلّ يوم، وأنا مجهول العين لا يعرفني أحد، آتيك بصورة سائل يطرق الباب، فإذا جئتُ فتفضّلْ عليَّ حدّثني بحديث واحد أو حديثين، أكتبه في قرطاس أخفيه في كمّي، ثمّ أنصرف.

قال له ابن حنبل: لك ذلك، لكن بشرط أن لا تختلط بالناس، ولا يتعرّف عليك أحد، ولا تجلس إلى مجلس العلماء، حتى لا يفتضح أمرك.

- لك شرطك.

فكان يأتي بقي بن مخلد كلّ يوم يلبس ملابسَ الفقراء المتسوّلين، ويتّكئُ على عصا بيده،

فيكتب عن الإمام حديثًا أو حديثين بحسب ما يتّسع له الظرف الأمني.

واستمر على ذلك سنين، حتى مات الخليفة الواثق، وتولى الخلافة العباسية المتوكل الذي نصر السنة، فأفرج عن الإمام وأكرمه، ونكّل بأعدائه..

واستأنف الإمام دروسه في الحديث في الجامع، فكان مجلسُهُ يؤمّه الآلاف من أنحاء الأرض، قال بقيّ:

سبحان الله، كيف السبيل إلى الإمام ؟ وحوله خلقٌ كثيرٌ ؟

لكن كنتُ إذا أقبلتُ عَرَفني فأدناني منه وقال:

هذا يصدق عليه – بحق - لقب طالب علم، فكان يفسح لي في المجلس، ويكرمني على غيري.

وفي يوم من الأيام افتقد الإمام تلميذه بقي، فقيل له: إنه مريض.

فقال: هيّا بنا نزوره، فجاء ومعه تلاميذه الذين لا يُحصون كثرة لزيارة زميلهم المريض في الخان الذين يسكن فيه، سمع بقي وهو مستلقٍ على فراشه جلبة وحركة غير عادية في الخان، فقيل له:

إنّ الإمام أحمد جاء يعودك.

جلس الإمام عند رأسه وهو يقول: يا أبا عبد الرحمن أبشرْ بثواب الله، أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السقم لا صحة فيها، (كأنه يشير إلى حديث النبي – عليه الصلاة والسلام – المتفق على صحته: " وخذْ من صحتك لسقمك "، أعلاك الله إلى العافية، ومسح عليك بيمينه الشافية (وأقلام طلبته تكتب ما يقول).

وبعد انصراف الإمام من الزيارة، جاء صاحبُ الخان إلى بقي قائلا:

أنّك لتعرف الإمام أحمد ؟ لماذا لم تخبرنا لنكرمك ؟

هذا هو بقي بن مخلد، وهذه هي رحلته الشاقة في طلب العلم. التي تذكّرنا برحلة الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه من المدينة المنورة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – إلى الشام من أجل سماع وتوثيق حديث واحد سمعه عبد الله بن أنيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا – يا جيرُ – المجامعُ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فاقصص القصص

(16)

ويلات الطلاق

في صحيح مسلم:

إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علَى الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أنْتَ.

إبليس يضع عرشَهُ على الماء، ثمّ يبعثُ سراياه، والسرايا جمع سريّة، وهي القطعة من الجيش، يرسلهم لإغواء البشر، وتيسير سبل الوصول إلى الحرام، فيأتي أحدهم فيقول لأستاذه – مثلًا - :

لا أزال بفلان حتى زيّنتُ له طريق الوصول إلى الزنا حتى وقع فيه، قال له:

اجلسْ.

ويأتي الثاني فيقول: فلان نفختُ في أوداجه وحرّضتُهُ على جريمة القتل، ففتل أباه.

قال له: اجلسْ.

ويأتي الثالث: وضعتُ بين يديه أموالًا وأماناتٍ، وعبّدتُ له الطريق لسرقتها، فسرقها.

قال: اجلسْ.

وجاء آخرهم: فلان بن فلان حرّضتُهُ على زوجته، وكانتْ بينهما ألفةٌ ووئام ومحبة، فلا أزال أحرّضُه عليها حتّى طلّقها.

نهض أبوهم مستبشِرًا وقال: نِعْمَ أنتَ.

أو: نَعَمْ أنتَ أنتَ (كما في رواية).

السؤال الذي يفرض نفسه:

لماذا يفرح إبليس كلّ الفرح بالطلاق إلى هذه الدرجة ؟

تعالوا معنا نُعمل الفكرَ في عواقب الطلاق، على الأولاد والبنات، وعلى المرأة المطلّقة، بل وحتى على الرجل المطلِّق.

كلنا نشاهد بأعيننا مدى التشتّت الذي يعاني منه الأبناء بعد الطلاق، بل قد يصل بهم إلى الانحراف أحيانًا، دون أن يخطر ذلك ببال الرجل المطلّق الذي ركبه شيطانُهُ هذا، وهو يظنّ أنه منتصر.

هذا بعض تأثير الطلاق على الأبناء أولا، وثانيًا تأثيره على الحالة النفسية للمرأة المطلقة، وخسارةِ بيتها، ونظرةِ المجتمع الظالمة لها.

وثالثًا على الزوج المطلّق الذي خسر أبناءه، وأسلمهم إلى المجهول في تربيتهم ورعايتهم، وخسر الأمل الذي كان يراوده في برّهم ووفائهم له، وخسر رفيقة دربه، وهو يظن أنه من الرابحين.

تخيّلْ أنك ربّيتَ ابنك حتى كبُر ودخَل الجامعة، ثمّ فرحتَ بتخرّجه، ثمّ تعاونتَ مع مَنْ تعرف لتجد له عملًا يؤسس به حياته – بعد توفيق الله - ثمّ أردتَ أنْ تختمَ فرحتك بزواجه، فتكتحلَ عيناك بأحفادك.

وتزوّج وأنجبَ، وفي غمرة فرحتك تُفاجأ بالطلاق، وهدم ما بنيتَه، لتتحوّل الأفراح إلى أتراح.

والمصيبة العظمى أنّ هذه الظاهرة قد كبُرتْ، واتّسع الخرقُ على الراتقِ، كما يقول المَثَل.

تصوّرْ أن الإحصائيات تقول:

إنّ حوالي ستة آلاف حالة طلاق تقع في شهر واحد في العراق فقط.

ستة آلاف (هذه فقط الحالات التي سُجّلتْ رسميًّا).،

والشيء المحزن أكثر أنك ترى أغلب الأسباب في حالات الطلاق – كما يقول أغلب المحامين المتخصصين في الأحوال الشخصية - ليس الزوجين المغنيّين، بل ترى السبب يأتي من أمّها أو أمه أو أبيه أو أبيها.

وهنا يبرز السؤال:

هل يجوز للبنت أن تطيع أمها أو أباها إذا كانا يريدان هدم بيتها وطلاقها من زوجها.

أيها الأحباب: طاقة الوالدين واجبة، لكن في المعروف وليس المنكر.

العلاج:

أيها الإخوة الأحباب نحن فقدنا كنزًا عظيمًا، اسمُهُ الصبرُ.

والصبرُ كالصبرِ مرٌّ في مذاقتهِ لكنْ عواقبُه أحلى من العسلِ

رسولنا الكريم من أواخر الكلمات التي تفوّهَ بها فمُهُ الشريف:

" استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهنّ خُلقْنَ من ضلع أعوجَ، فإذا ذهبتَ تُقيمُهُ كسرتَهُ، وكسرُها طلاقها، فاستمتعْ بها، وبها عِوجٌ "

" لَا يَفْرَكْ (أي لا يُبغض) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنها خُلُقًا رضِيَ مِنْهَا آخَرَ ".

وكذلك المرأة إذا رأتْ من الرجل اعوجاجًا فيجب عليها أنْ تتّبع الطرق السليمة لتقويمه، فإنّ صلاحه لها، وفسادُهُ عليها.

بل وقبل الزواج يجبُ على كلٍّ من الرجل والمرأة أنْ يُحسنا الاختيار (وهذه أهمّ خطوة يخطوها المتزوج)

فالرسول الكريم – عليه أفضل الصلاة والسلام – وضع مواصفات أربعة لاختيارات الرجل لشريكة حياته، ففي صحيح البخاري:

" تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ. "

فاظفر: والظفر الفوز.

فالذين يتزوجون لأجل المال: هم اليهود، فالمال قي حياتهم رقم أوّل.

والذين يتزوجون للحسب والمكانة الاجتماعية هم أهل الجاهلية قبل الإسلام، المهم عندهم بنت فلان بغض النظر عن جمالها أو دينها.

أما الذين يتزوجون للجمال فهم النصارى المسيحيون، فالجمال والرومانسية هي الهدف.

والوحيد العاقل الذي يتزوج للدين هو المسلم الملتزم، طبعًا لا مانع أن يكون مع الدين جمال ومال وحسب، لأنّه يدرك أنّ الزواج ليس صفقة تجارية مؤقتة، بل هو حياة.

كم يعجبني أولئك القائمون على جمعية خيرية عندما ينظّمون دوراتٍ للمقبلين على الزواج، هذه الدورات هي عبارة عن أربع محاضرات عميقة.

يلقيها عالم ديني ومتخصص اجتماعي وخبير مالي وطبيب نفسي.

أما العالم الديني فيشرح لهم الأحكام الفقهية التي يحتاجها المتزوّج، ومنها أحكام الوضوء والغسل وما يتعلق بالحيض والنفاس والعدة وما شابه، ويتلقى الأسئلة من الشباب في محاضرتهم المنفصلة عن البنات، وفي محاضرة البنات كذلك.

أما المتخصص الاجتماعي فيُفهم البنتَ أنّ الشاب الذي أصبح زوجًا لك، له أبٌ وأمّ وأخوات وأقارب، وكلٌّ له حقّه، بل إنّ أباه وأمّه مقدّمان في الرعاية عليك، فعليك أن تراعي ذلك، وتعطي كلّ ذي حقّ حقه لكي تستقيم السعادة في بيتك وأبنائك، وكذلك الشابّ عليه أن يرعى حقوق والدَي زوجته، ويحسّن العلاقة معهما.

والخبير المالي يعلمهما حسن التصرف بالمال لكي لا يُرهقا أنفسهما بالقروض والأقساط، مما قد يُؤدّي إلى خلخلة العلاقة بينهما.

وأخيرًا يأتي الطبيب النفسي لكي يشرح للشاب نفسية المرأة وما يعتريها من اضطرابات، لاسيّما في أيام معيّنة من كلّ شهر، وما تحبّ في الرجل وما تكره، ويشرح كذلك في محاضرة النساء شخصية الرجل ونفسيته، وما يريده من المرأة.

هذه الدورات التي قد يستهين بها الكثير من الشباب والفتيات، تُعطي مناعة أو شبه مناعة من الاختلافات التافهة التي تواجه الكثير من الأزواج والزوجات.

اسأل الله – جلتْ قدرته – أن يحفظ علينا الاستقرار في بيوتنا، وأنْ يرزق الزوجين الصبر وبُعد النظر والتريّث، وأن يُبعدهم عن العجلة في أحكامهم إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلّمَ على الحبيب المصطفى القدوة وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(17)

عاقبة الظالم

يروي الشيخ ابراهيم ، وهو من أهالي أبو الخصيب في البصرة:

في تسعينات القرن الماضي كنت أعمل إمامًا وخطيبًا في أحد الجوامع في منطقة الغزالية في بغداد حيث يسكن عدد كبير من ضباط الجيش العراقي.

وكنت الاحظ أحد المصلين من كبار السن يأتي متكئاً على اثنين من أولاده يوميا، ويبدو أنه مصاب بشلل يمنعه من المشي..

وفي إحدى الليالي وبعد الفراغ من الصلاة، جاءني هذا الرجل ورجاني - بإلحاح - أن أرافقه الى داره القريبة من المسجد لأمر يهمه!!!

وافقت على الذهاب معه، وحال وصولنا الى داره أخذني إلى مرآب السيارات الخاص بالدار وازاح الغطاء عن سيارة كانت مركونة فيه، وإذا بها سيارة سوبر صالون بيضاء اللون تحمل لوحة دولة الكويت، وأشار إليها بيده، وقال:

يا شيخ هذه سبب مأساتي!!

أخذني بعدها إلى غرفة الاستقبال ليروى لي الحكاية قائلا:

عند احتلالنا للكويت عام ١٩٩٠ ميلادية كنت ضابطا كبيرا في الجيش، وكنت مسؤولا عن إحدى السيطرات.

وكانت هذه السيارة تعبر يوميا من أمامي، فاعجبتني وطمعتُ فيها فطلبت من أفراد السيطرة افتعالَ أيِّ مشكلة مع صاحبها لمصادرتها منه، وفعلا تم إيقافها وكان يرافق السائق أمرأة عجوز، ولما لم يجد الجنود ما يبرر لهم إنزالَ السائق الذي رفض النزول بعد أن ابرز كل المستمسكات الأصولية القانونية الخاصة بها، واخذ بالجدال معهم،عندها تدخلتُ أنا شخصيا وقمتُ بسحب السائق بالقوة ووجهت له لكمة قوية جعلته يترنح ويسقط ارضاً أمام أنظار المرأة العجوز التي صرخت بحرقة بعد أنْ رفعتْ بصرها إلى السماء، ثم التفتتْ إليّ:

(ييعلك الشلل)!! أي: يجعلك الشلل (اللهجة الكويتية والبصرية تقلب الجيم ياء).

ولأن الشيطان كان قد ركب رأسي وقتها، لذا فأني لم أبالِ بما سمعتُ، واخذتُ السيارة بالقوة منهم وتركتهم يذهبون مشيا .

وبعد أيام ركبتُ السيارة وجئتُ بها إلى بغداد وركنتها هنا منذ ذلك الوقت، لأني في نفس اليوم بدأتُ أشعرُ بآلام شديدة في الظهر، ثمّ ساءت حالتي الصحية ولم تنفع معي كل العلاجات، حتى تم أحالتي على التقاعد لأسباب صحية.

وحينما سمعتُ – يا شيخ إبراهيم - أنك من أهالي البصرة قررت أن ألجأ اليك عسى ولعل أنك تستطيع الوصول إلى صاحب السيارة، لأن أهالي البصرة لهم علاقات اجتماعية وعائلية مع الكويتيين.

يقول الشيخ ابراهيم رغم إني وجدت الأمر صعبا ان لم يكن مستحيلا بعد كل تلك السنوات، خاصة وأنه لايعرف اسمَ الرجل ولاعنوانه ولا ايَّ شئ عنه، إلا أني وعدت الرجل خيرا، وقلت في نفسي لعل الله يحدث أمرًا ولو بعد حين.

مرت شهورٌ ثم حدثت الموافقة التي لم تكن تخطر على بالٍ.

عند عودتي إلى البصرة في إجازة العيد، وبعد انتهاء الإجازة ذهبتُ إلى الكراج الموحد للسفر إلى بغداد.

لم استطع السفر لشحة المواصلات حينها، فعدتُ إلى البيت، وحين سألني أحد الجيران عن السبب اخبرتهم بعدم توفر مواصلات بسبب انتهاء عطلة العيد، فقال لي إنه سمع من جارنا الجديد أبو محمد (المقيم) وكنا ندعوه بهذا الإسم، لأنه كان مقيما في الكويت وتم ترحيله بعد تحريرها، سمعتُ منه أنّه سيذهب غدا إلى بغداد بسيارته الخاصة ويمكنك مرافقته.

وبعد مفاتحته وموافقته انطلقنا صباح اليوم التالي إلى بغداد، وأثناء الحديث في الطريق الطويل روى لي الأخ ابو محمد ذكرياته في الكويت ،

وخاصة الأيام العصيبة أثناء احتلالها، وأعتذر عن بساطة سيارته التي نركبها، وروى لي كيف أنه كان يملك سيارة سوبر صالون جميلة تم أخذها منه بالقوة في إحدى السيطرات من قبل احد كبارالضباط!!!!

هنا قاطعته وقلت له هل سيارتك سوبر صالون موديل ١٩٨٦بيضاء ؟

فتعجب وسألني: هل كنت – يا شيخ - أحد أفراد تلك السيطرة ؟

قلت : لا ولكني سآخذك اليوم إليها في الغزالية.

وكان ابو محمد بين مصدق ومكذب، حتى طرقنا باب الضابط والتقينا به حيث فوجيء الاثنان ببعضهما وارتمى الضابط عليه معتذرا طالبا منه أن يصفح عنه، وتصفح عنه تلك المرأة العجوز التي دعتْ عليه بدعاء فتح باب السماء (يجعلك الشلل).

فأخبره أبو محمد أن تلك المرأة هي جدته، وهي تحمل الجنسية الكويتية، وما تزال تعيش هناك، ومن الصعوبة الالتقاء بها إلا في الأردن، حيث تصطاف كلّ عام هناك.

فقال له الضابط إنه سيتكفل - له ولي ولأولاده - بكل مصاريف ورسوم السفر، من تذاكر وإقامة في أفضل الأماكن، لكي يلتقي بالعجوز، ويطلب مسامحنها.

وسافر الجميع، والتقيا مع العجوز في عمّان بالأردن.

في البداية رفضت العجوز العفو عنه، لكنّ الجميع بقَوا في عمان بانتظار ابنها الكبير للتوسط عنده.

وجاء ابنها، وكان رجلًا متفهّمًا، وبعد محاولاتٍ قررت المرأة العجوز العفو عنه، لكن الرجل المشلول لم يغادر المكان حتّى تأكّد أن المسامحة كانت من القلب لا من الفم فقط.

يقول الشيخ إبراهيم:

سبحان الله، يشاء الله – سبحانه - أنّ الحالة الصحية للضابط بدأتْ تتحسن، وهو يشعر بالعرفان والامتنان مني ومن الرجل المقيم الذي أعاد له سيارته ومن العجوزالتي تفضّلتْ بمسامحته.

انتهت حكاية الشيخ إبراهيم والمرأةُ صاحبة الدعوة المستجابة.

وبقيت حكاية: ما اكثر الظلم والظالمين.

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن:

لولمْ يبتلِ الله – عزّ وجلّ – هذا الرجل بالشلل هل تتوقع أنْ يتوب ؟

الجواب : الله أعلم بذلك.

لكن – بالتأكيد – كان هذا الابتلاء سببًا مباشِرًا في توبته، وهنا يتجلّى لنا كيف أن المحنة تحولتْ إلى منحة ربّانيـة أنقذته من عذاب الله يوم القيامة.

اللهمّ أحيِنا – في ظل رعايتك - لا ظالمين ولا مظلومين، مؤدّين حقوقك وحقوق عبادك.

وصلَّ اللهم على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(18)

يا طالب العلم: اعرفْ قدرَك

قي الربع الأول من القرن الميلادي الماضي كان هناك مدرسة دينية شمال بغداد، يديرها عالم متمكن من تدريس العلوم الشرعية واللغوية، وكان لديه طالب ذكيّ جادّ مخلِص اسمه مَجْد.

خرج هذا الطالب في يوم من الأيام ليشتري طعامًا يسدّ جوعه، ولم يكن لديه إلا فلس ونصف، اشترى بفلس واحد رغيفَ خبز، وجاء إلى بائع فجل ليشتري منه باقة فجل بنصف الفلس الباقي عنده، فأخبره بائع الفجل أن باقة الفجل بفلس وليس بنصف فلس.

قال له مجدٌ: أعلّمك مسألة فقهية وتعطيني باقة، فقال له البائع:

وهل نفعتك كل مسائلك الفقهية وكل علومك التي تعلمتَها منذ عشر سنين، إنها لم تأتي لك بباقة فجل.

يا ابني: اخرجْ إلى السوق، ودَعْ هذه العلوم التي لم تمنحك نصف باقة فجل، وراءك مستقبل وزواج ومسؤوليات.

كأنّ هذه الكلمات أخذتْ طريقها إلى مخيلة مجد، فأخذ يفكر فيها.

كلام بائع الفجل صحيح، كل هذه العلوم لم تمنحني نصف باقة فجل.

عقد العزم على الذهاب إلى السوق وترك الدراسة، والاكتفاء بالصلاة في المسجد.

بعد أيام افتقد الشيخ تلميذه النجيب مجد.

- يا شباب أين زميلكم مجد ؟
- يا شيخنا إنه رجل فقير، ذهب إلى السوق للعمل.

لملم الشيخ ثيابه وذهب قاصدًا زيارة مجد في بيته.

استعلم الشيخ مجدًا عن أسباب تركه الدراسة الشرعية في المسجد.

فأجاب بما أجابه بائعُ الفجل أنّ الدراسة لم تمنحه نصف فلس ليشتري باقة فجل.

أطرق الشيخ بفكره، ثمّ أخرج من جيبه خاتم ذهب، وقال لمجد:

تفضّلْ يا بُنيّ هذا الخاتم هدية مني إليك، سدّ بثمنه حاجتك، وارجع إلى دروسك.

أخذ مجد الخاتم – فَرِحًا - إلى صاغة الذهب، وعرضه على أحدهم ليقدّر قيمته، فقال له:

إنه يساوي ألف دينار، لكني أسألك:

- من أين لك هذا الخاتم ؟
- إنه هدية من شيخي فلان.

ذهب الصائغ إلى الشيخ ليتأكد، فأخبره الشيخ أنّ ولدَنا المجدَ صادق.

ورجع المجدُ إلى دروسه الدينية في المسجد العامر بطلابه.

وفي نهاية الدروس في ذلك اليوم استدعى الشيخ مجدًا إلى غرفته وقال له:

يا ابني الحبيب مجدا،اسمح لي أن أسألك سؤالا:

- عندما أردتَ أن تعرف قيمة الخاتم ذهبتَ إلى صاغة الذهب لتعرف ذلك، أليس كذلك ؟
- بلى يا شيخي.
- لماذا لم تذهب إلى بائع الفجل لكي يقدّر قيمته ؟
- طبعًا لأنه لا يعرفها، فليستْ هذه صنعته .
- إذًا لماذا سمحتْ لك نفسك أن تجعل بائع الفجل يقدّر قيمة العلم الذي تدرسه، وقد قدّرها بنصف باقة فجل.

يا ابني – الله يحفظك – لا يقدّر الشيء الثمين إلا أهله.

يا ابني: العلماء ورثة الأنبياء، فأنتَ وريثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يعرف قيمة العلم الشرعي إلا من يعرفها جيّدًا.

ستدرك بعد حين أنك أفدتَ نفسك أولًا فتعلّمتَ ما يقرّبك إلى ربك، وأفدتَ غيرك من الناس، فأوصلتهم إلى الله، بل إنّ كلّ ما يعلّمه طلابك للناس من علوم الشرع سيكون في ميزانك إلى قيام الساعة.

وهل تظنّ أن إنسانًا بهذه المنزلة عند الله ينساه الله – سبحانه – من رزقه.

يا بُنيّ إنّ الإنسان ليطلبه رزقه أكثر مما يطلبه أجله (كما جاء عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم).

وهنا انتبه صاحبنا المجد إلى الدرس الذي سمعه من شيخه، وكأنه أفاق من سُبات.

أيها الإخوة الأحباب:

علماء الدين الأثبات الذين يبلّغون ميراث النبي صلى الله عليه وسلم في زماننا هذا يُعدّون على الأصابع.

تُرى لو انتقلوا – بعد عمر طويل إن شاء الله – إلى جوار ربّهم، مَن سيخلفهم ؟

فلابدّ من الاهتمام بدراسة العلم الشرعي على يدي أهله الربانيين.

وأحبّ أن أنبّه إلى نقطة هي غاية في الأهمية:

إنّ من فضل الله – سبحانه – علينا في هذا العصر أن يسّر لنا سُبُل التعليم والأخذ عن المشايخ حتى ولو عن بُعد، وحتى وهم ميّتون.

سأعطيكم نموذجًا فذًّا من المشايخ الموسوعيين.

الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين (رحمه الله) هذا الرجل أعجوبة في علمه وسلوكه، أما علمه فإذا سمعتَه يدرّس الحديث تقول هذا متخصص في الحديث، وإذا درّس التفسير تقول متخصص في التفسير، وإذا درّس النحو والصرف والبلاغة كذلك.

الآن كل الكتب الذي درّسها في حياته – رحمه الله – مسجلة على موقعه، فما عليك إلا إحضار الكتاب ومتابعة الدروس والاصغاء إلى شرحه وتفريعه وتعليله.

لكن هذا الأمر يحتاج إلى صبر ومجاهدة " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فُرُطًا ".

نعم مجاهدة ومتابعة، لأنّ الله لا يعطي هذه الجواهر (العلوم الشريفة) إلا لمن صبر واصطبر على تعلمها.

لكن كلامي عن الرجل لا يعني أنه معصوم من الخطأ، ولا هو - رحمه الله - يقول ذلك.

ورائدنا الدليل " قل هاتوا برهانكم ".

فكثير من الفتاوى ردّ عليه فيها معاصـــروه بفهم مغايرلما فهمه (عليه رحمة الله).

ولقد تشرّفتُ بمعرفته عندما كنتُ طالبًا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وكان يأتي في رمضان إليها، وشرّفني بصورة خاصة عندما دخل بيتي، وأذكر أني ناولته علبة فيها ماءُ زمزم، وطلبتُ منه أن يقرأ عليه، وقلتُ له: إنّ عندنا أطفالا كثيرًا ما يتعرضون لأمراض، فاستجاب - جزاه الله خيرًا - لطلبي، وأخذ يقرأ ويقرأ حتى دخل داخلون إلى المجلس وهو يقرأ فلم يردّ عليهم السلام لأنه كان مستغرقًا في القراءة، ونحن رددنا عنه.

أدعو الله – عزّ وجلّ – أن يجزيه وعلماءنا المخلصين على ما قدّموا للعلم وأهله من تراث ،وأنْ يدّخر ذلك لهم، يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

اللهمّ علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا لما علّمتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(19)

فتنة النساء

في أحداث سنة ثمان وسبعين ومائتين تحدث المؤرخ الشهير ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) عن شخص ذكر اسمه فقال:

كان صوّامًا قوّاما يحفظ كتاب الله مجاهدًا، لكن ابن كثير عقّب على هذا قائلا:

قبّحه الله

سبحان الله: صوام قوام مجاهد يحفظ القرأن، ثمّ (قبّحه الله).

عبارة غريبة، لكن هذه الغرابة ستزول إذا علمنا نهاية قصة هذا الرجل.

سيزول العجب عندما نعرف السبب.

خرج يومًا مجاهدا، وفي أثناء حصار مدينة من مدن الروم أطلّتْ فتاة شابة فاتنة الجمال من شرفة، فأتبعها الرجلُ بصره، وبادلتْه النظرات فالابتسامات، حتى علَق بها قلبُهُ، فامتلكتْ لبَّهُ وجوارحَهُ.

ثمّ راسلها، وراسلتْه قائلة:

لك عندي كلُّ ماتريد بشرط واحد، وهو أن تترك دينك الإسلام وتدخل في ديني ودين أبائي النصراني المسيحي، وتعلّق الصليب على صدرك.

فأجابها - وهو لا يملك من نفسه تفكيرًا ولارويّة – أنْ نعمْ، أنا موافق.

وفرّ خلسةً إليها .

قال ابن الجوزي: (فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديدا ، وشق عليهم مشقة عظيمة).

وغابَ الرجل مدة لا يُعرف له خبرٌ، وبعدها رأه رجلٌ من المسلمين، وهو يعلّق على صدره صليبًا.

خاطبه:

- ألستَ فلانا بن فلان ؟
- بلى.
- أين صلاتك وحفظك لكتاب الله ؟
- للعلم لقد أنساني الله كتابه كله إلا أية واحدة.
- ما هي ؟
- " رُبَما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين، ذرهمْ يأكلوا ويتمتّعوا ويلهِهُمُ الأملُ فسوف يعلمون "
- سوف تعرف - إنْ عرفتَ – لماذا لم يُنسِك الله – سبحانه – هذه الاية.

" فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون "

أفكار القصة وعِبَرها :

١ – في صحيح مسلم: " إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا علَى طَاعَتِكَ ".

فإذا كان صلى الله عليه وسلم وهوالمختار من الله يسأله – سبحانه - الثبات، فماذا نقول نحن ؟

٢ – في صحيح البخاري: " ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أضَرَّ علَى الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ "

وفي الموسوعة الحديثية:

(لا أحَدَ أقدَرُ على فتنةِ الرَّجُلِ وإغوائِه مِنَ المرأةِ السُّوءِ؛ لقُوَّةِ تأثيرِها عليه عاطفيًّا؛ ولذلك فإنَّ المرأةَ إذا كانت صالحةً أصلحت المجتَمَعَ، أو زادَتْه صلاحًا، أو خفَّفَت من فسادِه، وإن كانت فاسدةً أفسَدَت المجتَمَع والبَيتَ، إلَّا مَن عَصَمه اللهُ بقُوَّةِ الدِّينِ والعزيمةِ والإرادة).

هذا على مستوى الأشخاص، أما على مستوى الدول فإنّ أعظم وسيلة في دوائر المخابرات هي استخدام المرأة وسيلة لجذب مناوئيها وأخذ ما لديهم من أسرار، وجذبهم إلى ساحتها.

ولا أستبعد أن تكون هذه المرأة مبعوثة من مخابرات الروم لإستقطاب المجاهدين.

ولذلك عندما سئل أحد رجال المخابرات اليهودية:

لماذا لم تستطيعوا الدخول إلى عالم المجاهدين في فلسطين قال:

كيف نستطيع الدخول إليهم وهم بعيدون عن الخمرة والجنس ؟

اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك، مصرّف القلوب صرّق قلوبنا إلى طاعتك.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(20)

أمّنْ يجيب المضطر ؟

يحكي أحد الدعاة المعاصرين قصة عائلة مؤلفة من رجل وامرأة كبيرَي السنّ، ويسكن معهما ابنتُهما وطفلتُها.

وابنتهما هذه لها زوج في السجن (لسبب ما).

وتشاء أقدار الله أنّ هذه الطفلةَ لا تبرأ من مرض إلا إلى أخر.

والعائلة كلها فقيرة، ليس لها مورد مالي سوى تقاعد الرجل المسنّ الذي لا يكاد يسدّ رمق العيش.

فليس لديها ما يسدّد تكاليف الأطباء والعلاج.

وفي ليلة من الليالي وفي ساعة متأخرة من الليل أحستْ البنت الأم بارتفاع درجة حرارة طفلتها.

فتحرّكت إلى قطعة من القماش تبللها لتعمل منها كماداتٍ تخفّف بها درجة الحرارة، تعمل لها الكمادات، ثم تعمد إلى سجادة الصلاة لتصلي ركعتين.

قطعت ظلام هذا الليل البهيم بين الكمادات وصلاة ركعتين، والتضرع إلى من يسمع الأنين والشكوى.

وفي هذه الأثناء والظلام ينوء بكلكله على الأم الواثقة من نجدة ربّها، طرق الباب طارق.

ترى من يطرق الباب في هذه الساعة من الليل ؟

استيقظ الأب فزِعًا على طرقات الباب، وإذا بالباب طبيب بعُدّتِه الطبية.

قال له الأبُ: تفضّل يا ابني.

دخل الطبيب قائلا: أين الطفلة المريضة ؟

جاءت أمها بطفلتها التي أنهكتْها الحمّى.

فحَصها الطبيبُ جيّدًا، وطمأن أمها أن لا بأسَ كبيرًا عليها، وكتب لها العلاج لتشتريَه من الصيدلية.

ثمّ أخرج فاتورة العلاج، وقال للأمّ :

تفضّلي الفاتورة.

قالتْ له: يا دكتور والله لا أملك قيمتها.

قال لها: إذًا لماذا تتصلين عليّ في هذا الليل ؟

- والله ما اتّصلتُ عليك، بل ليس في بيتنا هاتف أصلًا.
- سبحان الله، أليس هذه الشقة شقة فلان بن فلان ؟
- لا يا دكتور، هم يسكنون فوقنا.
- لا إله إلا الله، حصل خيرٌ – والحمد لله – ساقني اللهُ إليه.

وهنا خرج الدكتور وركب سيارته، واشترى لها الدواء، بل واشترى للعائلة طعامًا بنوعيه:

طعامًا يؤكل الآن، وطعامًا لأيام مقبلة كالرز واللحم والخضار.

ثم قال لأم الطفلة:

يا بنتي هذا مبلغ من المال هديّة لك لنفقات البيت.

وسيأتيه مثلُهُ كلّ شهر، بالإضافة إلى علاج العائلة، إلى أن يخرجَ زوجُك من السجن، وهذا عنوان عيادتي.

==========

" فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون "

نقف عند هذه القصة متأملين متفكّرين:

تُرى ماذا قالتْ هذه المرأة لربّها عندما كانتْ تصلي الركعتين في ظلام الليل ؟

وما أسرع الاستجابة ممن يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

ماذا قالتْ لربها وهي تناجيه منجاة الواثق، والليل يخيّم بسكونه على الجميع ؟

اللهم أصلحْ لنا ديننا ودنيانا، وأسعدنا في آخرتنا بصحبة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فاقصص القصص

(21)

الاستثمار مع الله

قبل سنوات عدة وفي ربوع دمشق الفيحاء كان يعيش رجلٌ خياط في محل متواضع.

توسع هذا المحلُّ مع مرور الزمن، وبارك الله في رزق هذا الرجل الخياط التقي.

جاءتْه امرأة ذات يومٍ لتقول له:

أنا أرملة ولديّ ثلاثةُ أيتام، وكان زوجي يقتات على ماكينة خياطة يخيط بها الثياب، فهل من الممكن أن تستأجر مني هذه الماكنة ؟

قال: نعم

جاءت المرأة الأرملة بالماكنة وأودعتها محله، وقال لها:

كم تطلبين – شهريًا – إيجارها ؟

قالت: ثلاث آلاف ليرة .

قال: فاعطيتُها الثلاث آلاف للشهر الأول مقدّمًا.

وعندما ذهبت المرأة تفحّصتُ الماكنة فإذا هي قديمة لا تصلح للعمل.

لكني – من فضل الله – استمررتُ في دفع إيجارها الشهري قرابة العشر سنوات، بنية الاستثمار مع الله.

ووالله ما هي إلا سنوات معدودة حتى تطوّر عملي في الخياطة فأصبح معملًا واسعًا في دمشق يُشار إليه بالبنان.

وكان للمصنع مديرة فاضلة، فالعاملات فيه كلهنّ نساء يعملْنَ بانتظام وإخلاص.

ثمّ اندلعت الحرب في عموم سوريا واشتدّت، واحترقتْ – تقريبًا – كلُّ المصانع والدورُ حولنا إلّا مصنعَنا – والحمدُ لله -.

بعد فترة انقطعتْ أخبار هذه الأرملة، ولم يكن لديّ عنوان لها سوى رقم هاتفها الذي يبدو أنه خارج التغطية.

أما مديرة المصنع فقد سافرتْ مع زوجها وعائلتها إلى بلد أوربي هربًا من ويلات الحرب.

وبعد أيّام جاءتني مكالمة هاتفية من خارج سورية من أم أحمد المديرة السابقة للمصنع تقول:

يا أستاذ هيثم لقد رأيتُ فيما يرى النائم من يقول لي:

قولي لهيثم حفظنا معمله من أجل ماكنة الأرملة.

يا أخي الحبيب:

لعلّ رعايتك لامرأة مسنة أو أرملة أو عائلة فقيرة، تكون سببًا في ثراء تنعم به أنت ومن تعول ومن بعدهم.

انظر إلى ثمار الاستثمار مع الله:

زيادة وبركة في الدنيا، غير ما يدّخره الله للمُنفقين في الآخرة.

ففي صحيح البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ يقول صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعط منفقَ مالٍ خلفاً "

وفي الحديث المتفق عليه:

" السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وأحسِبُه قال - :

كَالقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ"

قال ابن بطال في "شرح صحيح البخاري" (٢١٨/٩) :

(من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث ، وليَسْعَ على الأرامل والمساكين ليُحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله ، فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ".

وفي صحيح الجامع يقول - عليه الصلاة والسلام - :

" ما آمن بي من بات شبعانَ و جارُه جائعٌ إلى جنبِه و هو يعلم به ".

==========

اللهم اجعلنا من المنفقين المخلصين في عطائهم، وبارك لنا في أرزاقنا وصحتنا وذريتنا، يا سميعُ يا قريبُ.

اللهم صلّ وسلم وباركْ على الحبيب المصطفي المجتبى وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(22)

حقوق العباد

" فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون "

اللهم صل وسلم وبارك على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الراوي:

أحمد وحميدان صديقان كان يُضرب بهما المثل في الانسجام والألفة والثقة، كان يثق كلّ واحد منها بالآخر ثقة عمياء حتى في القضايا المالية، كان حميدان يعرف مداخل ومخارج دوائر الدولة، والمراجعات فكان يسجل الأملاك باسمه، وكان صديقه أحمد يعلم ذلك وهو راضٍ، بل لا يشك أنّ ما عند صديقه عنده، يأخذ ما يشاء لبيته وأولاده، ويدَعُ الباقي باسم صديقه الأمين.

بعد أشهر وبعد أن نمتْ تجارتهما وتوسعتْ وأصبح لهما عقارات وأسواق (طبعًا كلها باسم حميدان الرجل الثقة) حصل حادث مروري خارج المدينة، فشاء الله أن ينتقل أحمد إلى جوار ربه في هذا الحادث.

وهنا بدل أن يأخذ حميدان من الحادث العبرة ركبته أفكار الشيطان، ونظر فإذا الأملاك كلّـها باسمه، فزيّن له الشيطان أكل الحرام.

جاء أبناء أحمد (رحمه الله) إلى صديقِ والدهم وموضع ثقته، لكي يعطيهم حصة أبيهم.

فقال لهم:

- إنّ أباكم رحمه الله قبل أن يموت – وبناء على طلبه - أخذ حصته كاملة نقدًا، ولا أدري ماذا فعل بهذه الأموال.
- لم يخبرنا الوالد بذلك.
- هذه مشكلته هو.

وبعد أن استأيسوا منه رفعوا أمرهم إلى القضاء.

لم يكن أمام القاضي أية مستندات تثبت ملكية والدهم لأيّ شيء من أملاك حميدان.

وانصرف أولاد أحمد (رحمه الله) لا يدرون ماذا يفعلون.

وفي يوم من الأيام سافر حميدان إلى بلد ما، وركب الطائرة، وبعد إقلاع الطائرة بدقائق شعر الركاب أنّ الطائرة بدأت تترنّح يمينا وشمالا مما أثار الرعب والخوف لدى ركابها.

وهنا أعلن طاقم الطائرة أن الطائرة تفاجأت بتغيّر في الأجواء، والأمر سهل، فلا تقلقوا.

وبعد دقائق أخذ ترنّح الطائرة يزداد حتى مال الركاب بعضهم إلى بعض، فأعلن الطاقم أنّ الطيار يحاول النزول في أقرب مطار، فعليكم بالاستغفار ونطق الشهادين، والأمر إلى الله.

وهنا فاجأ صاحبنا حميدان صديقه الجالس إلى جنبه قائلًا:

- اسمع – يا صديقي – أنا أريد أن أبرئ ذمتي أمام الله، تعرف المشكلة بيني وبين ورثة المرحوم أحمد، أشهدك أنّ كلّ ما أملك، نصفه – بالضبط – هو حق شرعي لورثته، وأنتَ شاهد على ذلك .
- يا أخي أنا معك في الطائرة، إذا متَّ فسأموت معك.
- على كلّ حال أنا أريد أن أبرئ ذمتي أمام الله.

وهنا ساد هدوء مشحون بالخوف من الموت والترقب.

وما هي إلا دقائق حتى أعلن طاقم الطائرة أنّ الخطر قد زال – والحمد لله - ، وستستمرّ الطائرة في مسيرتها إلى وجهتها إن شاء الله.

تنفّس الجميع الصُعداء – كما يقولون – وهنأ الركاب بعضهم بعضًا.

ونزل حميدان مع زميله متوجّهَين إلى فندقهما الفاخر، وجلسا في حديقة الفندق أمام بحيرة جميلة تتوسطها نافورة ملوّنة، ووصل العشاء الذي ينتظرانه.

وهنا التفتَ حميدان إلى زميله:

- تذكر الكلام الذي قلتُه لك في الطائرة في إبراء الذمة، وأنّ ورثة أحمد..... هذا الكلام امسحْه من ذاكرتك.

أنا عندي مستندات رسمية مقبولة في كل محاكم الأرض أن الملكَ ملكي لا يشاركني به أحد.

- يا رجلُ أنا اتصلتُ بابنه الكبير قبل دقائق وبشّرتُهُ.
- من قال لك أنك تتصل به ؟

أرجوك لا تكدّر علينا جلستنا الجميلة هذه، دعْنا نتعشّى:

لا شيء لهم عندي.

وانتهتْ قصة هذا الرجل الظالم، ولا ندري ماذا فعل الله به، لكن – بالتأكيد – أنّ الله يمهل ولايهمل.

<u>أفكار القصة وعِبَرها:</u>

١ - هذا الإنسان الظالم الغبي، وكل ظالم غبيٌّ، لأنّهُ لو كان ذكيًّا يعرف مصلحته ما ظلم.

هذا الظالم، كيف فاته أنّ أسباب الموت ليستْ مقتصرة على الطائرة أو السيارة.

ومن لم يمتْ بالسيف ماتَ بغيره تعدّدتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ

فالإنسان في كلّ لحظة معرّضٌ للقاء ملك الموت، متى أذنَ مَن يقول للشيء كنْ فيكون.

٢ – إخواني وأحبابي:

توثيق الأموال والحقوق توثيقًا رسميًّا لا يعني أن الثقة مفقودة، بل يعني أن نقطع دابر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء (والمؤمن كيّس فطن).

هذا الرجل صاحبنا في القصة أحمد (رحمه الله) ترك أموره المالية على الثقة القديمة بينه وبين صاحبه حميدان، ونسيَ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

أيّها الأحباب:

هل هناك ثقة أكثر من الثقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبي بكر رضي الله عنه ؟

في رحلة الهجرة قدّم سيدنا أبو بكر ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها إلا أن يدفع ثمنها.

أيها الأحباب:

حتى الديون ينبغي أن توثّق، فإنّ أطول آية في القرآن الكريم هي آية الدين (صفحة كاملة في سورة البقرة).

" يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه "

ما المانع إذا استقرضتَ من أخيك مالًا مثلا أن تُخرج ورقة تكتب فيها أنّي استدنتُ من أخي فلان مبلغا من المال قدره كذا، فهو في ذمتي.

والإنسان معرّض للرحيل في كل لحظة.

وأموال الميراث كذلك يجب أن تحدّد وأن توزّع على الأنصبة الشرعية.، وتوثق في الدوائرة المعنية.

فالميت بمجرد انتقال روحه إلى بارئها تتحول أمواله تلقائيًا إلى ورثته، فليس لأحد من الورثة الابن الكبير أو الصغير أو الأم التصرف بأي شيء من الأموال ولو بملعقة صغيرة إلا بإذن جميع الورثة.

وما أجمل بعض الأبناء البررة (وفقهم الله) في اليوم الأول لوفاة والدهم يجمع كل الورثة من أرحامه ويخبرهم بكل ما يملك أبوهم ويأتي بالقسّام الشرعي، ويُثبت لكل ذي حقّ حقه، تمهيدا لتسجيلها في السندات الرسمية.

أيها الأحباب:

هذه كلها أمثلة على ضرورة التوثيق الرسمي لكل ما نملك، لكي لا نعيش مغفّلين، ولكي نقطع الطريق على الشيطان وأحابيله، في تقطيع أواصر الأرحام والمحبين.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هوعصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من شر، يا لطيف يا ودود، يا رحمن يارحيم.

وصلى الله وسلّم وبارك على النبي الحبيب وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(23)

العقبة الكأداء

روي عن سيدنا موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – أنه خرج يومًا مع قومه للاستسقاء (طلب السقيا من الله) بعد أن جفّ الضرعُ ويبست الأشجار واحتبس قطرُ السماء، ونادى ربه – سبحانه وتعالى -:

يا ربي يا أكرم مَنْ سُئل، ما عهدتُك تردُّ لي طلبًا إذا دعوتُك، إنك تعلم ما نحن فيه من القحط والفاقة.

فناداه ربه سبحانه:

- يا موسي، إنّ فيكم رجلًا يبارزني المعصية منذ عشرين سنة، فإنْ يخرجْ أُسقِكم.
- ياربّ كيف الوصول إليه، وأنتَ تعلم أننا قرابةُ سبعين ألفا ؟
- يا موسى، عليك النداء، وعلينا البلاغ.

(ألمْ يأمر الله سيدنا إبراهيم - عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام – " وأذّنْ في الناس بالحجّ يأتوك رجالًا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق "، واليوم وقبله وبعده يأتي الملايين إلى بيت الله الحرام استجابة لذلك النداء ؟).

فنادى موسى:

- ياقوم إنّ فينا رجلًا يبارز الله – جلّ وعلا – بالمعصية، ولن يسقينا ربّنا حتى يخرجَ ذلك العاصي.

وصل النداء إلى الرجل المعنيّ، وأحسّ أنه هو المقصود.

فأخذ عباءته فغطّى بها رأسه، وأخذ يبكي ويبكي ويبكي ويقول:

يا ربّ، أعرف أني المقصود، وأنتَ تعرف أنّي إنْ بقيتُ جالسًا فإنك لا تُنزل القطر، وإنْ خرجتُ افتُضحتُ بين الناس، اللهم إني أُصدقك التوبة فتبْ عليَّ، اللهمّ أُصدقك التوبة فتُبْ عليَّ.

وما هي إلا دقائق حتى نزل الغيث.

تعجّبَ سيدنا موسى وقال:

- يا ربّ إنّك أنزلتَ الغيثَ ولم يخرجْ أحدٌ .
- قال: ياموسى، إن الرجل الذي حبستُ الغيثَ بسببه، أنزلتُ عليكم الغيث بسببه.
- وكيف ؟
- لقد تابَ الرجلُ توبة صادقة.
- يا ربّ عرّفني عليه فأراه.
- ياموسى لقد سترتُهُ وهو عاصٍ، أفأفضحُهُ وهو تائبٌ .

- <u>أفكار القصة:</u>

أولا: إنّ العقبة الكأداء أمام توفيقك أيها المسلم في حياتك هي الذنوب.

فالرزق قد يتأخر أو يضيق، والصحة قد تنحدر، والأولاد قد يعقّون آباءهم، والمرأة قد تسوء أخلاقها مع زوجها، كل ذلك بسبب الذنوب:

ذنوب اللسان، ذنوب النظر، ذنوب اليد، ذنوب أكل حقوق العباد، ذنوب التقصير مع الله في العبادات والمعاملات.

هذه هي العقبات التي تحول دون توفيقك.

قال العلماء: والتوبة واجبة على كل مسلم في كل وقت.

انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غُفر له ما تقدّم وما تأخر، كان عبد الله بن عمر – كما في الحديث الصحيح - يقول:

إنْ كنا لنعدّ للنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول:

" ربّ اغفر لي وتُبْ عليّ إنك أنت التواب الرحيم ".

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم المختار من ربّه.

فماذا نقول نحن ؟
بل إنه – صلى الله عليه وسلم – علّمنا أن نستغفر الله – سبحانه - حتى بعد العبادة خوفًا من التقصير في داخلها، فعندما ننتهي من صلاة الفريضة ماذا نقول ؟

استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله.

قد نكون قد قصّرْنا في الخشوع، في التدبّر، سرحت أذهاننا ونحن نقرأ أو نسبّح أو نستغفر.

- **<u>الفقرة الأخيرة صيَغ الاستغفار:</u>**

وردتْ صيغة: أستغفر الله، ربّ اغفر لي وتُبْ عليّ إنك أنت التواب الرحيم، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيّوم وأتوب إليه، استغفار سيّدنا ذي النون يونس - عليه وعلى نبينا الصلاة السلام -:

" لا إله إلا أنتَ، سبحانك، إني كنتُ من الظالمين ".

وهناك استغفار خاص سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيّد الاستغفار، ينبغي لنا أن نحفظه، ونحفّظه أولادَنا، وهو:

" اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنتَ، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ،أعوذ بك من شرّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنتَ ".

لاحظ في صيغة سيد الاستغفار:

الإقرار بربوبية الله وألوهيته، والإقرار بعبوديتك له – سبحانه -، وأنّك على العهد والميثاق الذي أخذه الله من بني آدم كلـِهم في عالم الذرّ بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، والاستعاذة بالله من الذنوب، والاعتراف بنعم الله التي لا تُحصى، والإقرار بالذنب، وطلب المغفرة التي لا تكون إلا منه – جلّ في علاه -.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبّتْ أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهمّ إنّا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

اللهمّ أحيِنا حياة السعداء، وأمتْنا موت الشهداء، وارزقنا مرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء.

وصلى الله وسلّم وبارك على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(24)

بقليل من الصبر تنال المطلوب

رُوي عن سيدنا علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه ورضي عنه – أنه جاء إلى المسجد للصلاة، فوجد عند باب المسجد شابًّا، فطلب من الشاب أن يمسك لجام فرسه ريثما ينتهي من الصلاة.

دخل سيدنا عليٌّ المسجد وصلّى، ولمّا انتهى من صلاته أخرج من جيبه – كرّم الله وجهه - درهمين ليعطيهما الشاب الذي مسك الفرس.

ولمّا خرج لم يجد الشاب، ووجد الفرس بلا لجام، الظاهر أن الشاب أخذ اللجام، ذهب سيدنا عليّ إلى السوق ليشتري لجامًا لفرسه، فوجد اللجامَ نفسَهُ يُباع، فاشتراه بدرهمين، وقال:

سبحان الله، لو صبر هذا الشابّ قليلًا لأكل رزقَهُ حلالًا.

لو صبر هذا الشابّ قليلًا لأكل رزقَهُ حلالًا.

- ورَوى المُؤَرّخُ مُحمد راغِب الطبّاخ:

أنَّ الشيخَ إبراهيم الهلالي الحلبي، العالِم الصالِح الجليل، قد ذهبَ مِن حلب إلى القاهرَة، ليطلبَ العلمَ في الأزهَر.

وأثناءَ طَلَبه العلمَ هناك، افتَقْرَ وضاقت به الدّنيا، حتى لم يَكد يَحصَل على لقْمَةِ خُبز، ومضى عليه أكثرَ من يوم دون أن يأكلَ شيئاً.

فخرجَ من غرفته في الأزهر، ليسألَ عن طعام، فشاهَد باباً مَفتوحاً، وشمَّ منه رائحَة طعام، فدخل المطبخ، ولم يجد أحداً في البيت، فأخذ الملعقة وغمسها في الوعاء، ثم انتبه، وقال في نفسه:

دخلتُ بيتاً دون إذن، والآن أريد أن آكل طعاماً بالحرام، واللهِ لن يكون.

وترك الملعقة في الوعاء، وخرج !

يقول المؤرخ الطباخ:

ولم يمضِ عليه أكثر من ساعة، إلا وأحد شيوخه ومعه رجل، يدخلان عليه غرفته، وقال له شيخه:

هذا الرجل الفاضل، جاءني يريدُ طالب علمٍ صالح، ليكون زوجاً لابنته، وقد اخترتُكَ له، فقُمْ بنا إلى بيته لنعقد لكَ على ابنته!

فقام معهما متحاملاً على نفسه، فإذا هو البيت الذي دخله، وغمس الملعقة في طعامه!

ولما عُقِدَ العقدُ، جيء بالطعام، فإذا بالملعقة ما زالت كما غمسها، فأكل، وقال في نفسه:

صبرتُ على الحرام حتى صارَ حلالاً!

وكان بعد ذلك يُحدِّثُ بالقصة، ويحثُّ الناس بها على الصَّبر!

ومن هنا رأينا أنّ الله في معيّة الإنسان الصابر، يكافئُهُ على صبره الذي تجرّع مرارته.

بينما نرى الذين لا يحتملون الصبر يقعون في عواقب ما كانوا يتوقعون أن تقع.

فقد ترى مشكلة استفحلتْ وتركتْ آثارًا مدمّرة، كان سببها أن صاحبَها لم يصبر، ولم يتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم.

وما ضربَ ضاربٌ وما قتلَ قاتلٌ ولا سرق سارقٌ إلا لأنه لم يدرّبْ نفسه على الصبر، ولو صبّر نفسه قليلًا لما وقع فيما وقع فيه.

ورحم الله الشاعر الذي قال:

والصبرُ كالصبر مرٌّ في مذاقته لكنْ عواقبُهُ أحلى من العسلِ

- **أخي الحبيب:**

هذه الحياة التي نعيشها:

جُبِلتْ عل كَدَر وأنتَ تريدها صفوًا من الأقدار والأكدارِ

لذلك وجبَ علينا جميعًا أن نتسلّح بسلاح الصبر لتلافي أخطارها.

إنّما الحلم بالتحلّم، والصبرُ بالتصبّر.

فالواجب على كلٍّ منا أن يُدخل نفسه دورة تدريبية على التحمّل.

ففي الحديث المتفق عليه:

" وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ."

وفي روضة العقلاء لابن حبان:

دخل رجل على جعفر بن محمد يشكو رجلًا آخر: قال لي كذا، وفعل لي كذا، فقال له جعفر: من أكرمك فأكرمه، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه.

وقال محمد بن السعدي لابنه عروة لما ولي اليمن:

(إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى الأرض تحتك، ثم عظّم خالقهما).

هذه الأقوال والحِكَم – أخي الحبيب – ترسُم لي ولك الطريق، وتوضّح أنّ الحياة تحتاج إلى صبر، وإلّا فإنّ المتضرر هو أنت لا غيرك، بالإضافة إلى أنّك عندما تكون صابرًا ستكون في معيّة الله ونصره، وتنال مكافأته.

" إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ".

واقرأ صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان صفة صفة ستجد في آخرها:

" أولئك يُجزون الغُرفة (منزلة في الجنة ليستْ ككلّ منزلة) بما صبروا ويُلقّون فيها تحية وسلامًا "

اللهم اجعلنا من الصابرين المحتسبين، وارزقنا رضوانك ورحمتك وعنايتك في الدارين.

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(25)

يا بُنيَّ لا تأكلْ بلسانك

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أيها الأحباب:

كلنا يعرف سيدَنا سعدَ بنَ أبي وقاص، أحد العشرة المبشّرين بالجنة، وأحد الستة الذين اختارهم سيدنا عمر رضي الله عنه لخلافته وقال:

(هؤلاء تُوُفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عنهم راضٍ).

جاءه أحد أبنائه يريد منه حاجة، لكن ابنه هذا قدّم بين يدي حاجته مديحًا غريبًا لأبيه لم يألفه سيدنا سعد.

قال له أبوه سعد رضي الله عنه:

هل فرغتَ من كلامك يا بُنيّ ؟

قال: نعم

قال سعد: ماكنتَ من حاجتك أبعد، ولا كنتُ فيك أزهد مني منذ سمعتُ كلامك هذا.

يعني حاجتك التي تريدها أصبحتْ بعيدة المنال، بل أبعد من ذي قبل، ومحبتي لك أصبحتْ ضئيلة منذ سمعتُ منك هذا الكلام.

يا بُنيّ إنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

" سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة بلسانها ".

الحديث في مسند الإمام أحمد: حسن لغيره.

قال البرزنجي:

(معناه يمدحون الناس ويظهرون محبتهم نفاقًا، ويطرونهم ويمدحون أنفسهم حتى يتوصّلوا إلى أخذ الأموال منهم).

أيها الأحباب:

- أفكار القصة وعِبَرُها تتمثّل في أكثر من جانب.
- الموظف الذي يتملّق لمسؤوله ويقدّم بين يدَيْ طلبه (ايًّا كان الطلب ترقية – مثلا - أو إجازة) يقدّم حزمة من كلمات النفاق والمديح، إنما يأكل بلسانه كما تأكل البقرة بلسانها.
- والشاعر الذي يدبّج القصائد الرنانة يمدح المسؤول ويقدح بأعدائه يأكل بلسانه كما تأكل البقرة بلسانها.
- والمرشّح للانتخابات الذي يزيّن الكلام، ويعِدُ بما لا يستطيع الوفاء به إنّما يأكل بلسانه.
- وشاهد الزور الذي يشهد عليه لسانه بكَذِبِهِ وزوره يأكل كالبقرة.

- والذي يجلس في المجالس يمدح هذا ويقدح هذا، يتكلّم على أهل العلم والصلاح وعلى غيرهم لا يتحرّى المعلومة الصحيحة، ولا يسأل عن مصدرها، بل لا يهمّه ذلك، لا يخاف اللهَ فيما يقول يشبه البقرة التي لا تفرّق في أكلها بين الرطب واليابس والغث والسمين والطيّب والرديء .
- أيّها الأحباب: سيدنا معاذ رضي الله عنه – عندما أدرك جرائم اللسان وآفاتِهِ التي شرحها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتفض يسأل الرسول – عليه الصلاة والسلام - :
- يا رسول الله أوَ نحن مؤاخَذون فيما نتكلم به ؟

فماذا قال له الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟

" ثكلتْك أمُّك يا معاذ، وهل يكبّ الناسَ على مناخرهم في جهنم إلّا حصـــــائدُ ألسنتهم ؟

حصائد الألسنة.

فيا أخي الحبيب يامن تخاف أن تُحشرَ إلى ربك وأنتَ مكبّل بالسيئات، التي تكبّ الناس في النار – أعاذنا اللهُ وإياكم منها – احذر فلتاتِ لسانك، واحسِبْ لألفاظك كلّ حساب قبل يوم الحساب.

" ما يلفظ من قولٍ إلّا لديه رقيب عتيد "

ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول:

احفظ لسانك أيّها الإنـــــسانُ لا يلدغنّـــــك إنّهُ ثعبانُ

كم في المقابرِ من قتيل لسانه كانتْ تهابُ لقاءه الأقرانُ

فقد مُدحتْ امرأة في حضرة النبيّ صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاتها وصيامها وتصدّقها على المحتاجين، لكنها كانتْ تؤذي جيرانها بلسانها، فماذا قال صلى الله عليه وسلم عن مصيرها، قال كلمة لا تقبل التأويل، ولا تحتمل التفسيرات، قال – عليه الصلاة والسلام - :

" هي في النار ".

لماذا لم تشفع لها صلاتها وصيامها وصدقاتها على كثرتها وما فيها من جهد وبذل وتعب ؟

حقوقَ العباد – أيها الأحباب – حقوقَ العباد .

اللهم احفظ ألسنتنا وسمعنا وأبصارنا وقلوبنا عن التوجّه إلا إليك.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلحْ لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، والموتَ راحة لنا من كلّ شرّ.

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(26)

ربنا يتاجر لك

رُوي أنّ امرأةً جاءتْ إلى سيدنا داود – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –، فوجّهتْ له سؤالًا غريبًا، ربّما لم يتوقّعه، فقالت له:

- أربُّك عادلٌ أم ظالمٌ ؟
- ويلك ماذا تقولين ؟ وهل يحتاج ربّنا لأحد كي يظلم ليأخذ حقّه ؟
أخبريني ما شأنك ؟
- أنا امرأة أرملة، وفي حِجري أيتام، وليس لي مصدر رزق إلا مغزلي، أغزل الصوف، ثمّ أجمعه في صرّة حمراء، وأقصد به السوق لأبيعه، وأصرف على أيتامي.
قبل يومين حملتُ الصرّة الحمراء المعبّأة بما غزلتُ إلى السوق، وفي الطريق جاءني من السماء طائر كبير انتزعَ مني هذه الصرةَ وطار بها، فرجعتُ إلى أيتامي مكسورة مهمومة لا أدري ماذا أصنع.
- قال لها سيدنا داود – عليه السلام – تفضّلي في بيتي، فالله قد جعل مع العسر يسرًا.
ولم تمضِ إلا دقائق وإذا بالباب يُطرق ليخرج سيدنا داود، وإذا بالباب عشرة رجال قالوا:
يا سيّدنا الحبيب نحن أبرز تجّار البلد، كنّا في سفينة، فجاءتنا عاصفة هوجاء، أوشكْنا أنْ نغرقَ، ومما زاد الطين بِلة أن سفينتنا خَرمتْ من وسطها خُرمًا كبيرًاحاولنا سدّهُ بكل ما معنا، فلم نفلح.
جلسْنا وأكثرنا من الاستغفار، وعاهدنا الله – سبحانه -، إذا أكرمَنا الله بالنجاة من محنتنا هذه سيصدّقنّ كل واحد منّا بعشرة دنانير ذهبًا.
وفي هذه الأثناء فوجِئنا بطائر كبير يحملُ صرّة حمراء كبيرة فيها صوف مغزول، فوضعناه حيث الخرم وسط السفينة، فانسدّ، والحمد لله تمامًا، ونجونا.
وهذه مائة دينار منا تعطيها لمن هو في حاجتها.
تهلّلتْ أسارير سيدنا داود فرحًا، ودخل على المرأة وقال:
إنّ صرّتك الحمراء أخذها ربّك الذي تسألين عنه، وتاجر لك فيها مع أبرز تجار البلد، فربحَ غزلك هذا مائةَ دينار ذهبًا.
وهنا سجدت المرأة الأرملة شكرًا لله، وقالتْ:
ياربِّ سامحْني واغفر لي، فأنتَ الأعلم، وأنتَ الأقدر، وأنتَ الأرحم، سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك.
أخي المسلم الحبيب:
إنّ إيمانك بالله يفرض عليك أن تجعلَ ثقَتك كلّ ثقتِك في الله الذي فطرك، لأنه الخالق والرازق والموفّق، " ألا له الخلقُ والأمرُ تباركَ الله ربُّ العالمين ".
فقد يعوّضك ربّك عما فقدتَ، يعوّضك مالًا، وقد يعوّضك صحة أنت أحوج ما تكون إليها، وقد يعوّضك أبناء صالحين في زمنٍ ندرَ فيه الأبناء البارّون بآبائهم، وقد يعوّضك صلاحًا وصلة قويّة بربك تجعلك تعيشُ في جنةٍ في الدنيا قبل جنة الآخرة، فاجعل ثقتك بالله أقوى حَبلٍ تعتصم به.
واعلمْ أنّ الحياة دارُ ممرّ، لا دارُ مقرّ، وأن مرجعنا إلى الله، هناك الحياة التي تستحقُّ التعب والنصَب، لأنّها محطة الاستقرار الأخيرة للإنسان.

ذلك اليوم الذي يقول فيه المفرّط " ياليتني قدّمتُ لحياتي " لحياتي، نعم هي الحياة التي سنُلقي فيها عصا الترحال.

وصلى الله وسلّم على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(27)

دولة تدخل الإسلام بدعوة رجل

أبو البركات يوسف البربري رجل من المغرب، يحفظ كتاب الله، ويخاف الله في سره وجهره.

في سنة خمسمائة وثمانٍ وأربعين للهجرة المشرفة، ركبَ البحرَ ذات يوم فاصطدم مركبُهُ بجبل جليدي، فتحطّم، لكنّ اللهَ أنقذه، حيث ركب بعض حطام المركب، حتى وصل إلى جزيرة لا يعرفها.

أشفق عليه أحد الصيادين، فأخذه إلى بيته وعالجه من بعض الجروح وأطعمه وسقاه.

وفي ليلة من الليالي سمعَ بكاءً ونحيبًا في بيت مضيّفه، سأل عن السبب، فقيل له:

نحن في هذه الجزيرة يأتينا في موعدٍ محدّد كلّ شهر جنيٌّ من البحر، يهدّد القرية كلّها بالفناء أو نعطيه فتاةً عذراءَ نقدّمها له فيكفّ عنّا أذاه، وهذا في كلّ شهر.

فنحن في هذا الموعد نضرب قرعة على فتيات القرية، فإذا وقعت القرعة على واحدة أخذها أهل القرية الوثنيون إلى قصر الأوثان قُبالة البحر، ليأتي الجنيُّ لأخذها.

واليوم وقعت القرعة على ابنتنا.

قال الرجلُ:

لا عليكم، لا تخافوا، أنا أحفظ القرآن، وهو كتابُ الله خالق الجنّ والإنس، لا يقف أمام قوته أحد.

سأذهب اليوم أنا مكان ابنتكم، وأجلس هناك.

فعلًا خرج الرجل الواثق بالله وبكلامه، وجلس يقرأ القرآن ويستغفر ويستنجد بربه – سبحانه - طوال الليل، وينتظر جنيّ البحر، فلم يأتِ أحدٌ.

وفي الصباح انتشر خبرُهُ في البلد، فذهبوا به إلى الملك شنورازه، فسأله الملك عن دينه وعن كتابه، فشرح له أبو البركات مبادئ الإسلام، فقال له الملك:

ننتظر إلى الشهر القادم والذي يليه، فإنْ كنتَ صادقًا أعاهدك أني أدخل في دينك هذا.

وانتهى الشهران ولم يحضر جنيُّ البحر.

المهم دخلَ الملك في دين الإسلام، ودعا شعبه إليه، فأسلمت الدولة كلّها.

وهناك جامع خشبي باسمه منقوش عليه ما نصه:

(أسلم الملك أحمد شنورازة على يدي أبي البركات المغربي البربري)

ومن بقايا التزامهم بدينهم أنّه لا يزال إلى اليوم لا يسمح قانون البلد بالتجنّس إلا لمن كان دينه الإسلام.

(أما فكرة الجنيّ، فيبدو أنها أسطورة، وقد تكون في الواقع عصابة شرّيرة هدّدت البلد لأغراض جنسية).

هذا البلد – أيها الأحباب – هو جزر المالديف السياحية المعروفة، الرابضة في المحيط الهندي.

تتألّف من ألف ومائة وتسعين جزيرة، إلا أنّ المأهول منها مائتان.

ذكر القصة المؤرخ المصري محمود شاكر في كتابه (التاريخ الإسلامي : العهد العثماني) وقبلَهُ الرحالة ابن بطوطة في كتابه الشهير رحلة ابن بطوطة المسمّى: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

- **" فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون ":**

١ – لاحظنا وفاء هذا الرجل البربري الغريب للعائلة التي أكرمته واحتضنته، فتطوّع أن يذهب بنفسه مكان ابنتهم.

٢ – قوة إيمان الرجل وثقته بقوة كلام الله وإبطاله لكل الخرافات والشعوذات.

٣ – النتيجة المبهرة في إسلام الملك وحاشيته والمواطنين جميعًا.

٤ – بقاء تأثير الإيمان على المجتمع المالديفي بعد مضي ما يقارب من تسعمائة عام على إسلام الملك والناس، حيث ينص الدستور – الآن - على الإسلام شرطًا لطالب التجنس.

٥ – حكمة الله البالغة إذ قيّض لهذه الجزر رجلًا صالحًا بدّد بنوره ظلمات الخرافات والأساطير.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، واهدِنا واهدِ بنا يا أكرم مسؤول.

وصلى الله وسلم على رسوله وحبيبه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(28)

طول العُمُر وحسن العمل

في مسند الإمام أحمد – بسند صحيح – أنّ رجلين قدما إلى المدينة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – من بليّ ، وبليّ بطن من قبيلة بني عُذرة التي تسكن في وادي القرى حول المدينة.

سكنا المدينة المنوّرة، وأسلما، وحسن إسلامهما، بل كان كلٌّ واحدٍ منهما أكثر اجتهادًا من صاحبه في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الصلاة والصيام وأعمال البرّ وحسن الخُلُق وطيب المعشر.

وفي معركة من معارك المسلمين استُشهد أحدهما، أما الآخر فقد بقي بعد أخيه سنة كاملة، ثمّ تُوُفّي .

وبعد وفاته رأى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وأرضاه رؤيا، طلحة هذا الذي قال عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلم:

" من أحبّ أنْ ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله".

فحوى الرؤيا: أنّه رأى هذين الرجلين الأول الذي استُشهد، وأخاه الذي تُوفي بعده بعام، على باب الجنة واقفين ، فخرج ملك من الملائكة من الجنّة وأدخل الرجل الآخِر الذي تُوُفي بعد أخيه، ثمّ جاء مرة أخرى فأدخل أخاه الشهيد الذي استُشهد قبله، ثم جاء إلى طلحة وقال له:

ارجعْ فإنّه لم يأنِ لك بعد، أي لم يحنْ وقتُ وفاتك.

واستيقظ طلحة، فأخذ يحدّث الصحابة رضي الله عنهم بهذه الرؤيا.

لكنّ طلحة والصحابة ظلّوا مستغربين من نقطة في الرؤيا أشكلتْ عليهم:

لماذا دخل الجنة أولا الأخُ الآخِر، ثمّ دخل الشهيد ؟

بلغ ذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال:

- من أيّ ذلك تعجبون ؟
- يا رسول الله، هذا كان أكثر اجتهادًا، ثم استشهد في سبيل الله، لكن الآخِر دخل قبله .
- أليس أخوه الآخِر قد عاش بعد أخيه سنة كاملة ؟
- بلى.
- ألمْ يُدرك رمضان فصامه وقامه وأدرك ليلة القدر ؟ ألمْ يصلِّ آلافًا من الصلوات ؟ ألم يسبّح ويستغفر ويتلو القرآن ويتصدق ؟
- بلى.
- فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرَض.

هنا – أخي الحبيب – نقف وقفة تأمّل في أهميّة أنْ يطول عُمُر الإنسان إذا حسُنَ عملُهُ.

ففي صحيح الترمذي: أنَّ رجلًا قالَ : يا رسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ خيرٌ ؟ قالَ : مَن طالَ عمرُهُ ، وحَسنَ عملُهُ ، قالَ : فأيُّ النَّاسِ شرٌّ ؟ قالَ : مَن طالَ عمرُهُ وساءَ عملُهُ

فمنْ طال عُمُره ولم يَحسن عملُه فذلك الخسران المضاعف.

(فينبغي للإنسان - وهو لا يدري متى أجله - أن يجتهد، فإن كان عمره قصيراً يكون قد استثمره قدر الإمكان فيما يرضي ربه، ويزيد في عمله الصالح وحسناته، وإن كان العمر طويلاً ازداد من الطاعة والقربة والإحسان).

وقال الصنعاني -رحمه الله:-
طُوبى لمن طال عُمْرُهُ، وحَسُنَ عَمَلُهُ، لأنه لا تمرُّ به ساعة إلا في طاعة.

ومن الغريب أنّه كثيرًا ما ندعو لأنفسنا ولأحبابنا بطول العُمُر، وننسى أن نُقْرِنَهُ بحسن العمل .

وهنا يبرزُ سؤال يفرض نفسه قبل أن أطرحه:

- هل ثبتَ في نص صريح صحيح أنّ في الإسلام أعمالًا تطيل العُمُر ؟
- الجواب: نعم.

ففي صحيح البخاريّ عن النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم قال:

" مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له فِي رِزْقِهِ، وأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ – أي يؤخر في أجله - فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ".

طبعًا: على رأس صلة الرحم برّ الوالدَين، وإن كان برّ الوالدَين له مكانة متميّزة.

أما قطيعة الرحم: فقد جاء في (صحيح الأدب المفرد):

" ما ذَنْبٌ أَحْرَى أنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصاحِبِه العُقُوبَةَ في الدنيا، مع ما يَدَّخِرُ لهُ في الآخرةِ من قَطِيعَةِ الرَّحِمِ و البَغْيِ".

اللهمّ إنّا نسألك – ولكلّ من يَسمع – أنْ تجعلنا ممن يصلون أرحامهم – بما يرضيك – وأن تطيل أعمارنا بحسن العمل وحسن الخاتمة.

اللهم يا مقلّب القلوب ثبّتْ قلوبنا على دينك، ويا مصرّف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك.

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(29)

طفلٌ في بطن أمّهِ يسمع القرآن

حدّثني – مباشرة – الشيخ سعيد الزيّاني – رحمه الله – في مجلس جمعني وإياه وبعض الأصدقاء.

والشيخ سعيد مغربيّ، كان قبل أنْ يهديَه الله مطرِبًا ومقدّم برامج، كان صديقًا لعبد الحليم حافظ، وحياته كلها مع الفن والفنانين.

أحد الصحفيين سأله:

هل أنتَ سعيدٌ يا سعيد ؟

قال: انظر – يا أخي – إنّ اسمي مؤلف من أربعة حروف: السين والعين والياء والدال، أنا الآن في مرحلة الأحرف الثلاثة الأولى، أنا الآن في (سعي) إلى السعادة، ولمّا أعثر إلى الآن على حرف الدال، فإذا عثرتُ عليه، وصرتُ سعيدًا فسأخبرك إن شاء الله.

وبعد فترة من اختلاطه بالدعوة والدعاة وسفره إلى أخيه الذي يسكن في إحدى الدول الأوربية، والذي سبقه إلى الهداية، دخلَ الإيمان في قلبه.

فكان يقول للصحفيين: أنا الآن وجدتُ حرف الدال في اسمي، أنا الآن سعيد حقًا لأني عرفتُ الله، واهتديتُ إلى صراط الله المستقيم.

حدّثني - رحمه الله – عن حالة مرّ بها في حياته كانتْ نقطة يقين تجذبه إلى ربه وإلى كتاب ربّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد.

قال: كانت امرأتي حاملًا بابنتي، ولا أدري كيف ألهمني الله أنْ أقرأ على ابنتي – وهي في بطن أمّها – سورة الإنسان " هل أتى على الإنسانِ حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا " إلى آخر السورة، وهي إحدى وثلاثون آية.

وتكرّرت قراءة السورة.

ونسيتُ الأمر، وُلدتْ لنا هذه البنتُ التي انتظرناها طويلًا، وكبرتْ حتى دخلتْ حلقات تحفيظ القرآن، حفظتْ جزء " عمّ " وجزء " تبارك " و" قد سمع" " والذاريات".

وفي يوم من الأيام وفي جلسة هادئة على الغداء، خطر لي أنْ أسألها:

ما هي أسهل سورة في الحفظ مررتِ بها يا ابنتي ؟

فكان جوابها: يا أبتِ سورة الإنسان، حفظتها بسرعة غريبة، حتى كأنّي أحفظُها من قبل.

فقلتُ: يا بنتي لقد كنتُ أقرؤها عليك وأنتِ في بطن أمّك.

سبحان الله، انظر إلى سرّ كلام الله، كيف ينفذ إلى الأجنة وهي في بطون أمهاتها .

وهنا تتجلّى عظمة الله، وعظمة كتابه المبين، ووعي الإنسان قبل أن يخرج إلى دنياه هذه، فسبحان الله، ما أجمل وأدقّ وأقدرَ رعايتَهُ – سبحانه - لخلقه.

- **" فاقصص القصصَ لعلهم يتفكّرون "**

تعالوا – أيها الأحباب – نتفكّر في أهمية أنْ نمهّد الطريق لأبنائنا ليحفظوا كتابه، وأنْ نشوّقهم إلى صحبة آيات الله ومعانيها، ليكون القرآنُ منهج حياتهم، ومهذّب سلوكهم:

١ - لينشؤوا نشأة صالحة.

٢ - يبرّون بآبائهم في الحياة.

٣ - وإذا انتقل آباؤهم إلى دار الحق دَعوا لهم بالخير، وتصدّقوا عنهم.

فكان آباؤهم سعداء بهم، وهو في قبورهم.

- **أحبائي:**

لا يكفي أنْ ندخل أبناءنا حلقات التحفيظ في الإجازة الصيفية فقط، بل طول العام لتكون صلتهم بكتاب ربّهم طول العام وطول الحياة.

وإيّاك أنْ يشوّش عليك شياطين الإنس والجنّ فيقولوا:

دعوا الأولاد يتفرّغوا لدراستهم وامتحاناتهم المدرسية.

هذه فرية يزيِّنها الشيطان لهم، لإنّ تخصيص جزء من الوقت للقرآن لا يُعيق دراستهم، بل العكسُ هو الصحيح، فقد ثبت – بالتجربة الواقعية والدراسات – أنّ حافظَ القرآن هو أكثرُ ذكاء ونبوغًا وسعةَ ذاكرة.

ولا أزالُ أذكر – في سنة من السنين - أنّ الطالبَ الذي كان الأول على طلبة الثانوية العامة في فرنسا شابٌّ جزائريٌّ يحفظ القرآن.

هذا في الدنيا، أما في الدار الباقية:

فإذا كان حافظ القرآن العامل به يُلبس والديه تاجًا وحلّتين لا يستطيع أهل الدنيا كلهم أنْ يقوّموا قيمتها - كما في صحيح الترغيب - فما بالك بالحافظ نفسه ؟

اللهم أصلحنا وأصلح أبناءنا، وارحم آباءنا وأمهاتِنا.

اللهمّ علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتَنا.

وصلى الله وسلّمَ وباركَ على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(30)

سبحان مقلّب القلوب

في أحد المساجد في أوربّا جلس رجلٌ كهلٌ تتسابق الدموع في عينيه، ويبدو أنه في غاية الحُزن.

سأله إمام المسجد عمّا يؤلمه، فقال:

عندي بنتٌ تُحبُّ شابّا أوربيّا كافرًا لا يعترف بأيّ دينٍ، وأنتم تعرفون أنّ ديننا الإسلامي يحرّم زواج المسلمة بكافر، فماذا أعمل ؟

قال له الإمام وبعض الدعاة الخارجين للدعوة في سبيله:

- والله – يا أخانا - كلُّ ما نستطيع القيام به هو أننا نحاول مع الرجل لعلّ الله أنْ يهديه إلى الإسلام.
- هذا الرجل ليس وجهه وجه هداية، ستجدونه يكذب عليكم، ويتلوّن، وما تهمّه إلا مصلحته الشخصية.
- سنحاول، والهادي هو الله.

وفعلًا تواصلوا مع الرجل وقالوا له:

- هذه البنت فلانة أحبتْك وضحّتْ من أجلك، وأنتَ بإمكانك أن تقوم بالوفاء لها بكلمة فقط.
- كلمة فقط ؟
- نعم كلمة.
- وما هي هذه الكلمة ؟
- أن تقول: أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسولُ الله.
- لا بأس أقولها: أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسولُ الله.
- والآن تفضّلْ معنا ندعوك إلى المسجد على وجبة خفيفة.
- المسجد ؟ وما المسجد ؟
- المسجد بيتُ الله يؤدي فيه المسلمون شعائر دينهم.

حضر الرجل إلى المسجد، وأعطوه كتابًا صغيرًا يتعلّم فيه مبادئ الدين، وكيف يغتسل ويتوضأ ويصلي، لعلّ الله أنْ يهديَه.

لكن الرجل أبى أنْ يصلّي، فكان إذا حضرتِ الصلاة خرج إلى ساحة المسجد يدخّن.

وتكررتْ هذه الدعوة باللطف والكلمة الطيبة والإكرام.

وفي يوم من الأيام تفاجأوا بالرجل وهو في صف الصلاة بينهم، فكان يصلّي أحيانًا ويترك الصلاة أحايين.

لكنهم لم يتركوه، وواصلوا العلاقة الطيبة معه، لأنهم يعلمون أنه:

" لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "

وبعد أيّامٍ لاحظ المصلون أنّ الرجلَ بدأ بالالتزام فعلًا وحضور الدروس، وأطلق لحيته، وبدأ بتعلّم القرآن وحفظه.

- سبحان الله الهادي.

وفي جلسة هادئة في غرفة إمام المسجد، طرح عليه الإمام مقترحين:

١ – أن يغيّر اسمه إلى (يوسف) لأنّ سيدنا يوسف – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – كان جميلًا، وأنت - ما شاء الله – ذو عينين خَضراوين وقوامٍ رشيق، فابتسم، ووافق.

٢ – المقترح الثاني عرضَ عليه الزواج، لأنّ الزواج حِصنٌ للمسلم، يقيه أحابيل الشيطان، ويفرّغه لعبادة ربّه.

وقال له الإمام: ما رأيك بهذه المرأة العربية التي أحبّتْك، وأبوها يصلّي معنا ؟

قال: لا هذه بنتٌ سافرة، وترفض الحجاب، وأنا لا أريد إلّا امرأة تعينني على ديني.

قال له الإمام: الأمر إليك.

سبحان مغيّر الأحوال، ذهبوا إليه ليدخلوه في الإسلام لأجل أنْ يكون زواجه بتلك البنت التي أرادتْهُ حلالًا، فرفضها، وكان مُحِقًّا.

ومرّتِ الأيام والسنون، والرجل لا تزيده الأيام إلا التزامًا ووعيًا ودعوة إلى الله.

- <u>يقول الرجل راوي القصة:</u>

ومرّت سنون عدة، تغرّبتُ عن ذلك البلد، ثمّ عدتُ إليها زائرًا فسألتُ عن يوسف، فأشاروا لي على شابّ يلبس الثوب العربي، ومعه ابنان له يلبسان ثيابًا عربية بيضاء وطاقية بيضاء، وهم يخرجون من المسجد.

ولم أسأل وقتها، هل تزوّج البنت العربية أم لا ؟

- هذه القصة – أيها الأحباب – أنقلها لكم من أرض الواقع المشاهد، وهي تدلّنا على عدة مبادئ:

١ – الإنسان المسلم لا ييأس من توبة أحد مهما كان تعنته وفجوره.

٢ – على المسلم الداعي إلى الله أنْ يبذل غاية جهده في توضيح مبادئ الإسلام لغير المسلمين – وحتى للمسلمين العاصين – بأسلوب لطيف وابتسامة مشرقة صادقة، ولا ييأسُ ويستعينُ بالله، ويحاول إنقاذ إنسان من نار جهنّم، كأنك تمشي على شاطئ النهر فوجدتُ إنسانًا يوشك على الغرق، فإنّ ضميرك الحيّ يدعوك لإنقاذه، فكيف بإنسانٍ تراه يسير إلى جهنّم.

وفي الصحيحين:

" فو الله لَأَن يهديَ اللهُ بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمُر النعم "

هذا الكلام قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، عندما وجّهه ليهود خيبر، أمره أوّلًا أنْ يدعوهم إلى الإسلام.

وحُمُر النعم: أغلى وأثمن ما يمتلكه العرب.

٣ – هذا الرجل هداه الله، بعد دعوات متكررة من المخلصين، وقد رأينا أنّ لهدايته سببًا، وهو أنّ أحد العرب هناك شكى لهم أن ابنته تريده، وهو كافر لا يجوز زواجه من مسلمة، فاندفعوا لهدايته.

والسؤال هنا: هل دعوة الناس الكفار إلى الإسلام لا بدّ أنْ يكونَ لها سبب ؟

ألم يأمرنا عزّ وجل بالدعوة إلى دينه بسبب أو بدون سبب، ألم يحنِ الوقتُ لإنقاذ هؤلاء البشر من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان ؟

وكذلك دعوة العصاة اللاهين من أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

ترى مَنْ صاحبُ هذه المهمة ؟

ألستَ أنتَ وأنا وكلّ مسلم ؟

ألَمْ يخاطبنا – جلّ وعلا - : " ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة "

ألَمْ يأمرنا الرسول – عليه الصلاة والسلام – كما في البخاري - " بلّغوا عنّي ولو آية " ؟

وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحسنى مقتصر على أئمة المساجد والمتخصصين بالشريعة أم إنّه عامّ، على كلّ مسلم ؟

بالتأكيد الخطاب لكل من ينتسب إلى دين الإسلام.

اللهم اهدِنا إليك، وثبّتنا على الهداية، واختم بها حياتنا يا أكرمَ من سُئِل، وأوفى من أعطى.

وصلّ اللهم وسلّمْ وباركْ عل حبيبنا وقائدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(31)

مهمة الأنبياء

جلس الداعية العالم عبد الحكيم الباكستاني مع نفسه يتساءل:

ترى هذه الملايين من البشر في أنحاء العالم الذين لا يعرفون شيئًا عن ربّهم الذي خلقهم ورزقهم، مَنِ المسؤول عن تبليغهم دين الله ؟

هل ننتظر أن يبعث اللهُ للبشر رسولًا آخر ؟

ما دمنا نعتقد أنّ سيدنا محمدًا – عليه أفضل الصلاة والسلام – هو آخر رسل الله، إذًا على مَنْ تقع مسؤولية دعوتهم ؟

ألستَ أنت - أخي المسلم الواعي - وأنا وأنتم المعنيّين بهذه المسؤولية ؟

قطع عبد الحكيم تفكيرَهُ بقراره السفر إلى فرنسا للدعوة إلى الله، وهويتذكّر كلام شيخه وهو يقول له:

- أنتَ وكيل رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام -، والدين أمانة في عُنُقك.

ويقول في نفسه:

أنا وكيل الرسول صلى الله عليه وسلم، والدين أمانة في عنقي، إذًا أنا بئس الرجل إنْ خنتُ الأمانة.

وصل إلى أحد فنادق باريس، وبدأ تفكيره يسرح يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا كيف يبدأ ؟ وبمَنْ يبدأ ؟ وهو لا يعرفُ أحدًا.

وقع بصرُهُ على كتاب ضخم هو (دليل أرقام الهواتف) لمدينة باريس.

أخذ يقلّب في صفحاته لعلّه يجد اسمًا عربيًّا يهاتفه، لأنه يتقن العربية.

وقع بصرُهُ على اسم يونس، قال: هذا اسم عربي .

دقّ عليه، وعرّفه بأنه من باكستان، وأنّه يريد منه عشر دقائق فقط للقائه.

يونس هذا شابّ تونسي يدرس في باريس.

رحّب به ودلّه على المكان، والتقيا، وتحدّث الشيخ عبد الحكيم وقال:

ليس من المستحسن أنْ أحدّثك عن الإسلام وأنت رجلٌ عربي، منكم جاءنا الدين، حمله أجدادكم إلى أجدادنا، لكنّ أجدادنا – في البداية – طردوهم، وقالوا لهم:

أنتم طامعون بخيرات بلادنا، جئتمْ من أرض قاحلة غير ذات زرع، لتأخذوا ما نحن فيه من النعيم، لكن أجدادكم – رحمهم الله – لم ييأسوا وواصلوا الدعوة مرات وكرّات حتى أوصلوا لنا هذا الدين الخاتم وأنقذونا من جهنم الدنيا والآخرة، وإلّا ظللنا نعبد البقر والحجر.

هل من المعقول أن نردّ لكم البضاعة نفسها، وأنتم أهلها الأصليون ؟

وتجاذبا الحديث حول طرق توصيل هذا الكنز لهذه الأمم ؟

وهنا قطع الشيخ عبد الحكيم الباكستاني حديثه مع الشابّ يونس التونسي قائلًا:

- انتهتْ العشر دقائق التي اتّفقنا عليها .
- رجاءً رجاءً واصلْ حديثك، والله لكأنّي أسمع هذا الكلام أول مرة.
- طيّب، هل تعرف شبابًا عرَبًا في باريس ؟
- نعم

ذهبَ ودلَّهُ على عمارات يسكنها عرب.
عند باب العمارة وجدوا حارسًا يصحب كلبًا – أكرمكم الله – للحراسة، حاولوا معه أنْ يسمح لهم بزيارة بيوت العرب هنا، فرفض إلّا بإذن خاص.
فلما استيأسوا منه ذهبوا إلى حديقة المجمّع السكني، ورفع عبد الحكيم صوته بالأذان، حيث حان موعده.
وهنا تفاجأ الشابّ يونس وضيفُهُ بالناس يخرجون إلى شرفات شققهم. ويتساءلون:

- ما هذا الصوت الذي يذكّرنا بأهلنا وبلدنا ؟

وانحدرت دموعهم بالشوق، وانحدرت أقدامهم للوصول إلى الحديقة ليعرفوا ما الخبر ؟
وإذا شيخ باكستاني يحدّثهم عن الإسلام وعن الصلاة وعن الجنة والنار.
تأثّر أغلبهم ووجدوا في هذا الصوت منقذًا لهم من هذه الغفلة التي يعيشونها ويعيشها أبناؤهم.
وهنا أشار إليهم الشيخ عبد الحكيم ببناء مسجد، ولو صغيرًا يقيمون فيه صلواتهم الخمس.
أحس عبد الحكيم أنّ بذرته بدأتْ تثمر، وحمد الله – سبحانه – أنْ وفّقه لهذا.
واتّسعت بقعة الدعوة إلى الله، فأُنشئ مسجدٌ ثانٍ وثالثٌ.
وبارك الله في هذه الكلمات المخلصة والجهد الصافي.
وانتشر الإسلام في مدينة النور هذه، حيث أشرق عليهم نورٌ جديد لم يكونوا يعهدونه، نورٌ ينير دنياهم وآخرتهم.
ووصل اليوم عدد المساجد في باريس وحدها قرابة الثلاثة آلاف.
وهنا نتذكّر حديث النبي الكريم – عليه أفضل الصلاة والسلام - لسيدنا عليّ - كرّم الله وجهه - وهو يوجّهه لفتح خيبر:
" لَأَنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمُر النعم " .
لاحظْ معي – أخي المسلم – جهد شخص واحد مخلص لله كيف أثّر في بلد من أعرق بلاد أوربّا.
فلا تبخلْ على نفسك أنْ يكون لك نصيبٌ من مهمة الأنبياء بكلّ ما أوتيتَ من جهد وذكاء ونشاط.
اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتَنا، يا أكرم الأكرمين.

فاقصص القصص

(32)

جامع: كأنّني أكلتُ

عنوان غريب، جامع اسمه (كأنّني أكلتُ).

ما علاقة الجامع بالأكل ؟

هذا الجامع له قصة طريفة.

في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي في العهد العثماني كان يعيش في إسطنبول (منطقة الفاتح – حيّ زيريك) بتركيا رجل فقير يُدعى: خير الدين كججي أفندي، كان مواظبًا على الصلاة في المسجد وحضور الدروس الإيمانية، وكان يسمع من الخطباء – كثيرًا - حديثَ البخاري ومسلم عن الحبيب صلى الله عليه وسلم:

" من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة ".

وكان يحدّثُ نفسه بهذا الحديث في كلّ وقت، لكنّه رجل فقير لا يملك.

فخطرتْ في باله فكرة، مفادها أنّه عندما يمشي في السوق وتتوقُ نفسه لشراء فاكهة أو لحم أو حلوى، يقول لنفسه:

(صانكي يدم) بمعنى: كأنّني أكلتُ، ويربّت على بطنه برضًى، محاولًا إقناع نفسه بأنه حصل على ما يشتهي.

ويدّخر ثمن ما اشتهاهُ في صندوق في بيته.

وبعد مرورعدة سنوات من توفير معظم دخله، إذْ كان يكتفي بما يسدّ رَمَقَهُ ويكفي للحياة، فتح الصندوق وإذا المبلغ يكفي لتحقيق أمنيَتِهِ التي خطّط لها، وهي بناء مسجد في منطقته، فكان له – بتوفيق الله – ما أراد.

بقي المسجد مكانًا للصلاة وذكر الله إلى أنْ قامت الحرب العالمية الثانية، فتصدّع المسجد، لكنّ الأتراك – جزاهم الله خيرًا – لم يقبلوا أنْ يُمحى أثرُ ذلك المسجد الأثري فأعادوا بناء ما هُدم وترميم ما بقي سنة ١٩٦٠ م.

مساحة المسجد لا تزيد عن مائة متر مربع فقط، ويستوعب حوالَي مائتي مصلٍّ، وبه جناح خاص للنساء، وتُقام فيه دروسٌ في القرآن والتفسير والفقه.

اسم الجامع هذا لم يطلقه مؤسّسُهُ، إنما أطلقه الناس لغرابة قصة بنائه.

ولا يتميّز المسجد بأيّ مشهد من مشاهد التفنّن المعماري، فهو بالغ البساطة والزهد في بنائه.

وعلى باب مسجد (كأنّي أكلتُ) حجر من الرخام نُقش عليها تلخيص لقصة أغرب اسم جامع في إسطنبول ، بل في العالم.

رحم الله خير الدين كججي أفندي، وأجزل له المثوبة.

- **تعطينا هذه القصة الطريفة دروسًا ينبغي أنْ نقف عندها:**

١ – أول هذه الدروس أنْ الإنسان إذا أخلص التوكّل على الله وخطّط لعمل ما، فإنّ الله يذلّلُ له كلَّ العقبات، حتى ولو رأى الناس أنّ هذا العملَ مستحيلٌ وبعيدُ المنال.

٢ – القصة درسٌ بليغ للرجل في أعماله وللمرأة في بيتها وحتى الشباب والأطفال بالاقتصاد والتوفير لما هو أهمّ في حياتهم.

٣ – ملخّص حكمة هذه القصة: إذا نادتْك لذائذ الحياة فأجِبْها: كأنّي أكلتُ.

٤ – إذا نويتَ – صادقًا – أنْ تعمل عملًا صالحًا سواء تحقق هذا العمل أولم يتحقق، فإنّ الله لا يَحرمُك أجره إكرامًا لك على نيّتك المخلصة.

ففي صحيح الترمذي:

" إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ(منهم اثنان):

عبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالًا وعلمًا فَهوَ يتَّقي ربَّهُ فيهِ ويصلُ فيهِ رحمَهُ ويعلمُ للَّهِ فيهِ حقًّا فَهذا بأفضلِ المنازلِ.

وعبدٍ رزقَهُ اللَّهُ علمًا ولم يرزقْهُ مالًا فَهوَ صادقُ النِّيَّةِ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ، فأجرُهما سواءٌ "

اللهمّ صحّحْ نياتِنا وأعمالَنا وأحوالَنا، واجعلنا نلقاك وأنتَ راضٍ عنا يا أكرم الأكرمين.

وصلِّ اللهم وسلمْ وبارك على سينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(33)

على هامش الحياة

في مصر، وعلى طريق القاهرة – الإسكندية تحرّك باص أجرة، ذو الإثني عشر راكبًا، وكان من بين الركاب صديقان: أحدهما طبيب والآخر مهندس.

أخذا يتجاذبان أطراف الحديث في موضوعات شتى، وكان أمامهما في السيارة – على بعد مترين - رجل صعيديٌّ كهلٌ بجلابيته الفضفاضة وعمّتِهِ المعروفة.

انتقل الحديث بينهما من ذكريات الطفولة والدراسة الثانوية إلى الشهادات المرموقة من طبّ وهندسة وتكنولوجيا ودراسات عليا.

ثم انتقل حديثهما إلى الرجل الصعيدي فقال أحدهما:

- إنّ أمثال هؤلاء الأميين يعيشون على هامش الحياة.
- على هامش الحياة ؟ ماذا تعني ؟
- أعني أنهم بلا شهادة، ولا أثر في الحياة، لا لأنفسهم ولا لغيرهم.
- لكنهم يحملون قلوبًا بيضاء نقية ورحمة أكثر منا.
- وماذا تنفع القلوب البيضاء والرحمة في هذا الوقت ؟

وساد صمتٌ وهدوءٌ في الباص دقائق، ثمّ فوجئوا بانحدار للباص واصطدامه بسيارة أخرى.

كانت المفاجأة: جرحى بين الركاب الذين كانتْ جروحُ بعضِهم بالغة.

وتحوّل حديث الصديقين عمّاذا نعمل ؟ وكيف نستطيع الوصول إلى الإسكندرية حتى لا يفوتنا الدوام، ونتلافى العقوبات.

في الوقت الذي انشغل فيه الصعيدي الشهم بسرعة الاتّصال بالإسعاف والشرطة المحلية لمساعدتهم، ولدى وصول سيارة الإسعاف تولّى بنفسه حمل الجرحى واصطحابهم إلى المستشفى، والاتصال بأقاربهم، ولم يخرج من المستشفى إلا بعد أن اطمأنّ إلى تحسن حالهم.

هذا هو الذي قالوا عنه: إنّه يعيش على هامش الحياة، ولا أثر لهم في مجتمعهم.

وكلامي هذا – طبعًا - لا يقلّل أبدًا من نفع المهندس والطبيب والعالم وأصحاب المهن للناس، ولكنْ أريد أن لا نستصغر الناسَ ونقلّل من شأنهم لمجرد أنّ ظروفهم لم تسمح لهم إكمال دراستهم، فقد يكونون أنفعَ للناس منك.

ففي الحديث الحسن الإسناد: " أحبّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس ".

وفي صحيح البخاري قول خديجة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم عندما رجع من غار حراء ، وبعد أنْ قال: قد خشيتُ على نفسي:

" أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ ".

وسيدنا موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – كان مطارَدًا من فرعون وجنده، ومع ذلك لم يتباطأ عن مساعدة المرأتين الضعيفتين :

" فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا "

وفي صحيح الجامع: " صنائع المعروف تقي مصارع السوء ".

اللهمّ اجعلنا من أهل المعروف في الدنيا لأنهم أهل المعروف في الآخرة.

واحفظ لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا.

اللهم إنّا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك.

أحينا حياة السعداء، وأمتْنا موت الشهداء، وارزقنا مرافقة الأنبياء والنصر على الأعداء.

وصلى الله وسلم على الحبيب المجتبى وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(34)

فضيلة السلام

في أطراف القرية شركة متخصصة بتبريد وتجميد المأكولات، وتضمّ عشرات المهندسين والعمال.

- يقول حارس الشركة:

يمرّ بي يوميًّا موظفو الشركة عند دخولهم وخروجهم.

لكنْ كان من بينهم عاملٌ يُلقي عليَّ السلام دائما.

لا أعرف اسمه، لكني أحفظ شكله.

وفي مساء يوم من الأيام خرج العمال والموظفون جميعًا، لكنّ الذي استوقفني أنّ هذا العامل الذي يسلّم عليَّ باستمرار لم يخرج، لأني لم أسمع سلامَهُ.

فقلتُ في نفسي لعله تأخر في بعض الغُرف، فدخلتُ فتّشتُ غرف الشركة واحدة واحدة، فلم أجدْهُ.

وكان في الشركة غرفة كبيرة للتجميد، فقلتُ في نفسي:

فلْأفتحْها من باب الاحتياط، ففتحتُها فإذا المفاجأة:

الرجلُ قابعٌ في زاوية من زوايا الغرفة يدعو الله أنْ يفرِّج عنه.

تبيَّنَ أنه دخلَ الغرفة لحاجة فأُقفل الباب، والمفتاح على الباب من الخارج، أخذ يطرق الباب ويطرق، ولا مجيب، فالجميع مشغولون بالخروج من الشركة، فلم يسمعْهُ أحدٌ.

يا سبحان الله، كيف كانتْ سنة النبي الكريم – عليه أفضل الصلاة والسلام – في إلقاء السلام على من تعرف ومن لم تعرف، سببًا في إنقاذ حياة هذا العامل.

ولا شكّ – أيها الإخوة الأحباب – أنّ السلامَ مفتاح القلوب، يَزيد المحبة، ويُضاعف الأجر، ويَجلب البركة، وهو حقٌّ للمسلم على أخيه.

في سنن الترمذي – بسند حسن -:

قيل: يا رسول الله، الرجُلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: أولاهما بالله.

وفي الصحيحين: "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ".

والسلام تحية أهل الجنة : " تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ".

ومن آداب الإسلام – كما ورد في الصحيح – " يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير".

وفي الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه: " أنه مرَّ على صبيانٍ، فسلم عليهم، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله "

وفي البخاري ومسلم: " أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل السلام في الدنيا والآخرة.

اللهمّ علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علمًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(35)

الرجوع إلى الحق فضيلة

ذكر ابن العربي الفقيه المالكي (وليس ابن عربي المتصوف) في كتابه: أحكام القرآن، أخبرني محمد بن قاسم العثماني غير مرة، قال:

وصلتُ إلى الفسطاط (الفسطاط: مدينة بناها عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد فتح مصر، وتعرف اليوم بمصر القديمة في القاهرة).

كان في الفسطاط شيخ معروف، وهو أبو الفضل الجوهري.

قال محمد: دخلتُ مسجده، وحضرتُ مجلسه، فسمعتُهُ يقول:

إنّ النبيّ محمدًا – عليه الصلاة والسلام – طلّقَ وآلى وظاهر.

قال: فبقيتُ أفكّر:

طلّق: نعم وقع منه صلى الله وسلم الطلاق، طلّق حفصة، ثمّ راجعها.

وآلى: الإيلاء هو أن يحلف الرجل أن لا يقرب زوجته، ففي سورة البقرة: " لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ".

فالقاضي يعطيه مهلة أربعة أشهر، إما أن يرجع ويكفّر عن يمينه، وإما أن يطلّق، فلا يجوز أن تبقى المرأة معلّقة.

والنبيّ – عليه الصلاة والسلام – آلى أن لا يقرب نساءه شهرًا، لأنهنّ طالبْنَه من النفقة فوق قدرته، ثمّ رجع إليهنّ بعد انقضاء الشهر.

أمّا أنه صلى الله عليه وسلم ظاهَرَ، فهذا لا يمكن أنْ يقع، لأنّ الله – سبحانه – يقول عن الظهار " وإنّهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا "، وهذا لا يليق بمقام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

والظهار هو أنْ يقول الرجل لزوجته أنتِ عليَّ كظهر أمي، وكان الظهار موجودًا في الجاهلية وكان يُعدُّ طلاقًا، لكنّ الإسلام جعل له كفارة:

عتق رقبة مؤمنة، فإنْ لم يستطيع فصيام شهرين متتابعين، فإنْ لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

قال العثماني: وانتظرتُ حتى يفرغ الشيخُ من حديثه وأختلي به، لكي أقول له ذلك.

انتهى الشيخ أبو الفضل الجوهري من حديثه، وخرج إلى بيته، فتبعه بعض طلبته، يسألون ويستفسرون في أمور من المسائل شتى، وأنا معهم، ثمّ نظر إليَّ وقال:

- يا أخي، كأنك غريب عن البلد؟
- قلتُ: نعم.
- كأنك تريدني ؟
- قلتُ: نعم.

فانصرف الطلبة، وبقيتُ وحدي معه، فقلتُ:

يا شيخي الجليل، حضرْتُ المجلس اليوم مُتَبَرِّكًا بك، وسمعتك تقول :آلَى رسول الله ﷺ وصدقتَ، وطلَّق رسول الله ﷺ وصدقتَ.

أما قولكم: ظاهَرَ، فإنّ الله - عزّ وجلّ – يقول عن الظهار " وإنّهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا " وحاشى للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يقع منه ذلك.

قال صاحبنا محمد العثماني: فَضَمَّنِي إلى نفسه وَقَبَّل رأسي، وقال لي :أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني مِنْ مُعَلِّمٍ خيرًا. ثمّ ودّعتُهُ، وعيناه تذرفان، وهو شاكرٌ.

وفي اليوم التالي ذهبتُ إلى حلقتِهِ، فَلَمَّا دخلتُ من باب الجامع ورآني نادى بأعلى صوته :مرحبا بِمُعَلِّمِي؛ أفسحوا لِمُعَلِّمِي، فَتَطَاوَلَتِ الأعناقُ إليَّ، وَحَدَّقَتِ الأبصارُ نحوي.

قال العثماني: فخجلتُ حتى احمرّ وجهي، وأسال الحياءُ بدني عَرَقًا، وأجلسني قربَهُ، والجامع غَاصٌّ بأهله، وأقبل الشيخ على الخلق، فقال لهم :أنا مُعَلِّمكم، وهذا مُعَلِّمِي؛ لَمَّا كان بالأمس قلتُ لكم :

آلَى رسولُ الله ﷺ وَطَلَّقَ، وَظَاهَرَ؛ فما كان أحد منكم فَقِه عني، ولا رَدَّ عليَّ، فَاتَّبَعَني هذا الفتى إلى منزلي، وقال لي كذا وكذا؛ وأعاد ما جرى بيني وبينه.

وأنا تائبٌ عن قولي بالأمس، وراجعٌ عنه إلى الحق؛ فَمَنْ سمعه مِمَّنْ حضر فلا يُعَوِّلْ عليه. وَمَنْ غاب فَلْيُبَلِّغْهُ مَنْ حضر؛ فجزاه الله خيرًا؛ وجعل يَحْفُلُ في الدعاء، وَالْخَلْقُ يُؤَمِّنون.

- **<u>" فاقصصِ القصصَ لعلهم يتفكرون ": أفكار القصة:</u>**

١ – الرجوع إلى الحق فضيلة، هذه الفضيلة تزيد الإنسانَ قَدْرًا عند الله وعند الناس، فكم ستزدادُ ثقة الناس بهذا الشيخ الجليل الذي رجع إلى الحقّ، ولو جاءه من غريب لا يعرفه.

والرجوع إلى الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل (كما جاء في رسالة سيدنا عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما)، لأنّ التمادي في الباطل ذنبٌ وخسارة وفقدان لثقة الناس بفاعله.

" أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ".

موقف يدل على متانة الدين – عند الشيخ - وحسن الأدب والخلق، وتجرد النية، وإخلاص العمل لله، ولا جرم، فإنَّ هذا حقًّا هو فعل المؤدَّبين المؤدِّبين.

٢ – وجوب النصيحة للمخطئ، لكن بغير فضيحة، انظرْ إلى صاحبنا محمد العثماني كيف نصح الرجل، نصحه منفردًا به، وبأسلوب ليس فيه كلمةٌ جارحة أو قريبةٌ منها.

بل قدّم كلامه بمقدّمة، فيها ثناء على الشيخ، وقال:

يا شيخي الجليل، حضرْتُ المجلس اليوم مُتَبَرِّكًا بك.

ولم يقف على الملإ لإظهار خطإ شيخه، لأنّ الهدف هو إرضاء الله، والوصول إلى الحقّ، وليس الهدف التشفّي والتقريع، لأنّه لا يوصل إلى المراد.

اللهمّ ألهمنا الرجوعَ إلى الحقّ إذا أخطأنا، وقبولَهُ بنفس راضية، لعلك ترضى عنا، يا أكرم الأكرمين.

اللهم اهدِنا سبلَ السلام، ونجِّنا من الظلمات إلى النور.

وصلِّ اللهمّ وسلّمْ على الحبيب المجتبى وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(36)

جائزة الستر على المسلم

يروي الشيخ محمد راتب النابلسي حفظه الله:

أنه في حيّ من أحياء دمشق رأى خطيب المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قائلًا له:

- أخبر جارك فلانا أنه رفيقي في الجنّة.

جاره رجل من عامة الناس يعمل بقالا.

ذهب خطيب المسجد إلى جاره ليبشّره بالرؤيا، لكن الخطيب اشترط عليه أن لا يخبره بالبشارة إلا أن يعلمه بأرجى عمل صالح له في حياته ادّخره عند الله خبيئة.

تردّد هذا الجار في سرد هذه الخبيئة، لكنه أخيرًا قرّر الإفصاح عنها على أن تكون المجالس بالأمانات، فليست الحادثة للنشر إلا أن تُذكر للعبرة مجردة من أسماء فاعليها.

بدأ الجار البقال المؤمن يسرد قصته:

قبل سنين تزوّج امرأة ً، فتفاجأ أنها حاملٌ سفاحًا فقرر:

١ – أنْ يدّخر عند الله سترَهُ عليها، لاسيما أنّ الندم والتوبة ظاهرة على سلوكها، ومكتوب على محيّاها.

٢ – ويحتسبَ تربية الطفل عند الله.

أشاع بين أقاربه أنّ المرأة لا تحبّ الاختلاط بالناس، وأنها تحتاج إلى الراحة.

حتى جاء موعد ولادتها، فأتمّ الولادة بسرية وكتمان.

ثمّ حمل المولود، وهوخارج إلى صلاة الفجر.

انتظر حتى دخل الإمامُ في الصلاة، والتفت فلم يرَ أحدًا، وضع الطفل عند باب المسجد، ودخل ملتحقًا بالجماعة.

بعد انتهاء الصلاة أخذ الطفل المولود بالبكاء، تجمع المصلون.

- لمن هذا الطفل ؟ من جاء به ؟
- لا أحد يجيب.

سأل صاحبنا البقال إمام المسجد:

أنه إذا أخذ الطفل وربّاه، هل له أجر كافل اليتيم ؟ لعله يكون رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة .

قال الإمام: نعم إن شاء الله ؟

حمل الطفل إلى أمّه، وربّاه على أنه يتيم.

وبعد سنوات انتقل عملُه إلى دمشق، وفتح بقالة قرب المسجد الذي رأى إمامُهُ هذه الرؤيا.

أيها الأحباب:

" من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة " كما في البخاري ومسلم.

- هنا عندنا عدل وعندنا ستر.

ممكن أن يتّبع هذا الرجل طريق العدل فيطلّقها – مثلا – لكنه يفوّتُ على نفسه فضيلة الستر على المرأة، فيفوّتُ على نفسه جائزةَ الستر يوم القيامة التي هي من علامات النجاة يوم يُعرض الناس على ربّ العالمين.

هل تعرف – أخي الحبيب – ما معنى أن يسترك الله يوم القيامة ؟

عندما تتطاير الصحف، ويظهر ما أخفيناه عن الناس، ويُفضح المستور من الأعمال والنيات، هنالك يأتي الله – سبحانه – بستره على كل ما أخفيتَهُ.

لماذا ؟ لأنّك – فقط - سترتَ على عبد من عباده في الدنيا، فلم تفضحه.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، يا أجودَ من سُئل.

وصلى الله وسلّم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(37)

الدين الإبراهيمي

- **القصة:**

الخديوي إسماعيل والد فؤاد الأول آخر ملوك ملوك مصر.

أرسل الخديوي بطلب الي الشيخ محمد عبده وإلي قس مسيحي وإلي حاخام يهودي، يسألهم هذا السؤال:

من سيدخل الجنة ؟

هل هم اليهود ام النصارى أم المسلمون ؟

وليعرف جواب كل منهم ونظرته إلي هذا الأمر

هل هم اليهو.د أم النصاري أم المسلمون ؟

لكن الذي حدث أن الشيخ محمد عبده اجاب عن السؤال ولم يستطع بعده اي من الحاخام والقس المسيحي الرد بعده

لأن رده كان في غاية الروعه والادب

وهذا ما أحرجهم امام الخديوي اسماعيل.

حيث قال:

إن دخلت اليهود الجنة فنحن داخلوها معهم لأننا آمنا بنبيهم موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة السلام - .

وإن دخلت النصاري الجنة فنحن داخلوها معهم لأننا نؤمن بنبيهم عيسي - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - .

وان دخلنا نحن الجنة (ونحن داخلوها برحمة الله) فلن يدخلها معنا لا اليهود ولا النصارى، لأنهم لا يؤمنون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم٠.

لم يترك هذا الكلام لهما كلاما بعد ما قاله، فانصرفا دون أن يعلقا على كلام الشيخ محمد عبده، لأن الكلام كان ابلغ من المقام.

تقودنا هذه القصة إلى ما يروّج له الرئيس الأمريكي ومن لفّ لفه من حثّ الدول والمؤسسات إلى تبنّي الدين الإبراهيمي للوحدة – كما يدّعون – بين الأديان وعدم اختلافها.

تعالوا معي – أيها الأحباب – نستعرض معًا النقاط الآتية للوقوف على زيف وبطلان هذه الافتراءات.

- ❖ **أولا:**
- ❖ **التسلسل التاريخي:**

١. **النبي إبراهيم) : قبل الميلاد بقرون طويلة.**

٢. النبي موسى) : بعد إبراهيم بقرابة ٧٠٠ سنة.

٣. النبي عيسى) : بعد موسى بـ ١٥٠٠-١٧٠٠ سنة.

٤. النبي محمد) : بعد عيسى بـ ٦٠٠ سنة، خاتم الأنبياء والمرسلين.

- الإسلام آخر الديانات لماذا؟
الجواب – والعلم عند الله - : لتكون شاهدة على الأمم "وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس "

✓ ثانيا:
منزلة سيدنا إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - :
هو أبو الأنبياء،فالأنبياء موسى وعيسى ومحمد – عليهم الصلاة والسلام – كلهم كانوا من نسله.
تعال – أخي الحبيب – ننظر ماذا قال القرآن فيه:

" إنّ إبراهيم كان أمّة " اجتمعت فيه كل خصال الخير المتفرقة في الأمة.

" مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يهوديًّا وَلاَ نصرانيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين "
ثم بيّن مَنْ هم أولى الناس بإبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - فقال:
" إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين "

✓ ثالثا:
الدين الإبراهيمي الجديد اخترعه الغربُ بعد أن كثر الداخلون في الإسلام في أوربا وأمريكا وكل العالم ، يحدثني صديق في فرنسا يقول: كم عدد الذين نحسبهم شهداء في غزة؟ قلتُ: كذا، قال: والله مثل عددهم أو أكثر دخلوا في الإسلام في فرنسا وحدها ، فكيف لا يحاولون طمس معالم الإسلام ؟
" ويمكرون ويمكر الله والله خيرالماكرين" .
فالهدف:
١ - صهر الديانات في بوتقة واحدة، والقرآن يقول:

" إن الدين عند الله الإسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ".

- فالدين واحد وهو الإسلام، لكن الشرايع مختلفة " لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا " فاليهودية والنصرانية شرائع، وقد ثبتَ تحريفها – كما سيأتي – فجاءت شريعة الإسلام ناسخة لكل الشرائع.
- كيف يتفق من يقول: لا إله إلا الله، لم يلد ولم يولد، ومن يقول عُزير ابن الله، والمسيح ابن الله ؟

٢ - خلط الحق بالباطل، وهم يعلمون أنه - وعلى مر العصور والدهور - الحق حق والباطل باطل:

" وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين "

- إن موسى وعيسى قد بشّرا بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي إنجيل برنابا البشارة صريحة.
وفي صحيح مسلم:

- " والذي نفس محمد بيده ما يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أهل النار "
- وفي الحديث ذي الإسناد الحسن:
" لو كان اخي موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي " .
- وفي البخاري ومسلم: " أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي:
- ..... وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة "

❖ رابعا:

❖ - في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) – النص من التوراة - :

(لوط– ابن أخي سيدنا إبراهيم – عليهما وعلي نبينا الصلاة والسلام -)

١ – (وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ* وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي» ، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ)

✓ تأمل:

- السكران لا يطأ
- لم يسألهما عن حملهما وتربية أطفالهما
- هل حرم الله اللواط ؟ وقلب بأهلها ليبيح زواج المحارم ؟

والقرآن يقول:

✓ " أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون "

٢ - ياعيل بنت موشيه ديان تدافع عن أبيها لأنه شاذ بأن النبي داود كانت علاقته بصديقه علاقة شاذة.

بالله عليكم هل يستطيع عقل أن يرى أنّ هذا هو كلام الله الذي اختار أنبياءه من صفوة عباده ليكونوا قدوة لغيرهم في الدين والمعاملة والأخلاق ؟

حسبنا الله ونعم الوكيل.

اللهم يا مقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك، مصرّف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك.

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(38)

وللدعاء آداب

يحكي شرطي من شرطة الحرم المكي الشريف، يقول:

في سنة من السنوات كانت نوبتي عند الحجر الأسود لتنظيم القادمين إلى تقبيل الحجر والقافلين عنه، كي لا تحدث فوضى في ذلك المكان المزدحم.

سمعتُ رجلًا عند الملتزَم (والملتزَم هو المساحة التي بين الحجر الأسود وباب الكعبة في حدود مترين، وهو مظنة إجابة الدعاء، كما ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وأيده ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله).

يقول هذا الشرطي سمعتُ رجلًا يدعو فيقول:

الله أعطني ولدًا، يا ربّ كل الناس عنهم أولاد وأنا ماعندي (ظلّ يكرر هذا الدعاء كثيرًا) حتى حفظتُ شكل الرجل تمامًا، ودعاءه.

ومرّت سنون عديدة، ونسيتُ هذا الأمر، وبعد ثمانية عشر عامًا تقريبًا، كنتُ في المكان نفسه، فسمعتُ رجلًا يدعو بلهفة يقول:

اللهم أهلك هذا الولد، اللهم أهلك ولدي هذا، فالتفتُّ فإذا هو الرجل الأول نفسه، فسلّمتُ عليه، وقلتُ له:

ألستَ أنتَ الذي كنتَ تدعو قبل سنوات: اللهمّ ارزقني ولدًا ؟

قال: بلى.

قلتُ: اسمح لي أن أهديَك نصيحة أخوية، وقبل أن تسمع النصيحة تفضلْ أفسح لك المجال حتى تقبّل الحجر الأسود وحدك.

قال: جزاك الله خيرًا، هذا المعروف لن أنساه لك.

وبعد أنْ قبّل الحجر الأسعد واطمأنّ قلتُ له:

يا أخي الكريم: أنتَ أخطأتَ في دعائك الأول وفي دعائك الثاني، بل اسمحْ لي أن أقول لك، لقد ظلمتَ ولدك مرتين.

أما دعاؤك الأول فكان المفروض أن تقول:

اللهم ارزقني ولدًا صالحًا، أنت لم تقل (صالحًا)، والسبب – كما يظهر - أنك كنتَ محرومًا من الذريّة فكنتَ تريد أيّ ولد.

أما دعاؤك الثاني فالمفروض أنْ تدعو لولدك بالهداية والصلاح بدل أن تدعو عليه بالهلاك والموت.

رسولنا الكريم يقول في الحديث الصحيح: " لا تدْعوا على أنفسِكم ، ولا تدْعوا على أولادِكم ، ولا تدْعوا على خَدَمِكم ، ولا تدْعوا على أموالِكم ، لا تُوافقوا من اللهِ ساعةَ نيْلٍ فيها عطاءٌ فيُستجابَ لكم "

قال: والله كلامك صحيح، جزاك الله عني من ناصح، ثمّ سلّم عليّ وفارقني.

وفي السنوات التالية كان كلما أدى مناسك العمرة يسأل عنّي، وألتقيه وأجلس إليه، وأجلس إلى ابنه الصالح المرافق له.

- هذه القصة – أيها الأحباب - تقودنا إلى الكلام عن آداب الدعاء، فللدعاء آداب يجب على المؤمن الداعي أنْ يعرفها.

١ - أوّلُ هذه الآداب: أن لا تدعو بشيء فيه إثم أوقطيعة رحم، أو تدعو على الأهل بنقصان في المال أو العمر أو الولد أو الرزق عمومًا.

فهذا منهيٌّ عنه بنص الحديث.

٢ - التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته أو بعمل صالح أو دعاء صالح.

٣ – إذا أردتَ أن تدعو لأخيك فابدأ بنفسك أولًا، ثمّ ادعُ لأخيك، ودعاؤك لأخيك بظهر الغيب مستجاب، بل يوكّل الله لك ملكًا يقول: ولك بمثله.

تأمّل هذه الصورة الجميلة الأخاذة:

أنا عندما أدعو لأخي يقول لي الملك: ولك مثله، صار هنا صورتان:

الصورة الأولى أنا أدعو لأخي، والصورة الثانية: الملك يدعو لي.

فأيهما أرجى للإجابة ؟

دعائي أنا لأخي أم دعاء الملك لي ؟

بالتأكيد دعاء الملك أرجى، إذًا فدعائي لأخي هو دعاء لي، بل أرجى من دعائي لأخي.

أظنّ الصورة أصبحتْ واضحة.

٤ – من آداب الدعاء تحرّي أوقات الإجابة، كالثلث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة، وعند إفطار الصائم، وعند نزول الغيث، وفي السجود، وآخر ساعة من يوم الجمعة، ودعاء الوالدين، وأدبار الصلوات.

٥ – أن تبدأ دعاءك بحمد الله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٦ – أن تعتقد أنّ كلّ دعاء صدر منك وأنت مخلص حاضر القلب قد أجابه الله، لكن أنت لا تعرف أين مصلحتك، فالله يعرف مصلحتك، لأنه علام الغيوب.

فدعاؤك إما أنْ:

أ – يستجيبه الله لك في الدنيا،

ب – وإما أنْ يدّخره لك في الآخرة، وبالتأكيد ستعرف أن هذا الادّخار خيرلك، إذا عرفتَ أن متاع الدنيا قليل محدود مشوب بالمنغصات، ومتاع الآخرة دائم متوصل لا منغّص فيه.

ج – وإما أنْ يصرف عنك من البلاء والسوء بقدر ذلك الدعاء.

استمع إلى قول الحبيب صلى الله عليه وسلم الوارد في صحيح الترغيب:

" ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاثَ : إما أن يُعجِّلَ له دعوتَه ، وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ ، وإما أن يَصرِف عنه من السُّوءِ مثلَها . قالوا : إذًا نُكثِرُ . قال : اللهُ أكثرُ "

٧ – وأخيرًا فإن من أهمّ شروط إجابة الدعاء: أكل الحلال، ففي صحيح مسلم " ذكر الحبيب المصطفى – عليه الصلاة والسلام - الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك. "

اللهم أجب دعاءنا، وأصلح نياتنا وأعمالنا، وديننا ودنيانا وآخرتنا.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

وصلى الله وسلّم وبارك على الحبيب المجتبى وعلى آله وصحبه.

فاقصص القصص

(39)

يصيب به من يشاء ويصرفه عمّنْ يشاء

يحكي الشيخ محمد متولّي الشعراوي – رحمه الله – قصة طريفة عندما كان بمكة المكرمة يدرّس النحو والصرف في كلية الشريعة، قال:

كنتُ في منطقة الشريعة بين الطائف ومكة المكرمة وفي مجلس أميرها، قال أمير الشريعة:

كانَ في منطقتنا امرأة تحفظ القرآن، وكان لها ابنتان، جاء نصيبهما فتزوّجتا، وسكنت كلّ واحدة منهما في منطقة غير منطقة الأخرى.

وفي يوم من الأيام قالت المرأة الحافظة لزوجها:

هيّا بنا نزور ابنتينا، ونقف على أحوالهما، فقد مضت فترة طويلة على فراقهما.

عزما على السفر، وتوكّلا على الله .

وصلا عند الأولى واطمأنّا على حالها،وقال لها أبوها وماذا يعمل زوجك ؟

قالت: يعمل في الزراعة، والحمد لله الآن أتممنا حراثة الأرض وزراعة البذور، وننتظر مطر السماء، ادعُ الله يا أبتِ لنا بالغيث، لأنه إذا إذا لم يأتِ المطر سوف تتلف البذور ونخسر كلّ شيء، فدعا لها بأن يمنّ عليها وعلى زوجها بالمطر النافع، ويرزقهما الرزق الحلال.

ثمّ ذهبا لزيارة ابنتهما الأخرى، وبعد أن سألا عن حالها وحال زوجها وعمّا يعمل زوجها قالت له:

يا أبي زوجي والحمد لله يعمل في الفَخّار (وهي حرفة من الأعمال الخزفية حيث يُعمل من الطين المحروق أوانٍ للأكل والشرب وحفظ الماء والزينة).

يا أبتِ الحمدُ لله عملنا من الطين الخاص أوانيَ كثيرة، وهي الآن معرّضة للشمس، يا أبي ادعُ اللهَ أن لا تمطر السماء، لأنها إذا أمطرتْ تلف كل ما عملناه.

فرفع الأبُ يديه إلى السماء ودعا الله أن يحفظ صناعتهما، وأنْ لا تمطر السماء.

ثمّ رجع إلى امرأته الصالحة الحافظة لكتاب الله وقال لها:

يا بنت الحلال: هذه السنة ستكون شرًّا على إحدى البنتين، فالسماء إذا أمطرتْ سيكون المطر خيرًا على واحدة، شرًّا على الأخرى، وإذا لم تمطر كذلك.

قالت له المرأة الحافظة:

- لو كنتَ تقرأ القرآن بقلبٍ واعٍ متدبّر لما تعجّبتَ، قال لها:
- كيف ؟
- قالتْ: ألمْ تقرأ قوله تعالى في سورة النور:

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ ".

فالله قادرٌ على يُمطر السحاب في مكان، ويمنعه في مكان آخر.

يقول أمير منطقة الشريعة:

وقد كان، فاستجاب الله الدعاء، فأمطرت عند البنت الأولى، وأمسكت السماء عند الأخرى .

- **" فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون" :**
- **أفكار القصة:**

١ – لا تستكثر شيئًا على الله، فهو على كلّ شيء قدير، يحيي ويميت، يعطي ويمنع، ويعزّ ويُذلّ.

٢ – أنت - أخي الحبيب – عبدٌ من عبيد الله، تحتاج إلى ربك – سبحانه – في كلّ لحظة من لحظاتك، فالنفَس الذي يتردّد، أنت محتاج إلى ربك في دوامه.

يا أيها المعدود أنفاسُهُ يوشِك يومًا أنْ يتمّ العدد

٣ – تفاءل بالخير من ربّ الخير – تعالى شأنه - وإياك أن تسمح للشيطان أن يُدخل عليك التشاؤم وظن السوء بربك، فإنّ هذا من أبواب وساوسه.

ففي صحيح البخاري:

" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دَخَلَ علَى أعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ (والأعراب اشتهروا بغلظ الطبع) قَالَ: وكانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا دَخَلَ علَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ له: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هي حُمَّى تَفُورُ -أوْ تَثُورُ- علَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَنَعَمْ إذَنْ "، يعني لك ما قلت.

ولهذا ينبغي للإنسان ألا يسمح لنفسه أن تسترسل في التشاؤم وتوقع السوء، ويطلق لسانه في ذلك، قال الشاعر:

احذر لسانك أن تقول فتبتلى * إن البلاء موكل بالمنطق.**

جاء عند الطبراني: أن الأعرابي المذكور أصبح ميتا.

فإحْسانُ الظَّنِّ باللهِ مِن صِفاتِ المؤمِنِ الحقِّ، فهو يَرْجو الخَيرَ والفَضْلَ مِن اللهِ سُبحانَه في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وفي كلِّ أحْوالِه، ويُسلِّمُ أمْرَه للهِ.

اللهم أحسنْ أمورنا كلها، ودبّر أحوالنا، فإننا لا نُحسن التدبير.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا، يا رحيم الرحماء، يا ربّ الأرض والسماء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(40)

إياك نعبدُ وإيّاك نستعينُ

القاضي البيضاوي (المتوفى سنة ٦٩١هـ) ألف تفسيره المسمى: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، المشهور بتفسير البيضاوي.

وعندما فرغ منه عزم أن يذهب به إلى سلطان بغداد ليهديَهُ إليه، وفي الطريق نزل عند أحد شيوخه، فسأله عن وجهته فقال لشيخه:

ألّفتُ هذا التفسير، وتعبتُ فيه، حيث أتقنتُ تبويبه وترتيبه ومسائله، والآن سأذهب به إلى سلطان بغداد لعله يمنحني بعض المال، فلديّ – بصراحة لا أكتمها عليك يا شيخي - لديّ بناتٌ مقبلنَ على زواج، وأحتاج إلى تجهيزهنّ كما تعرف.

قال له شيخه: يا أبا سعيد، يسّر الله أمرك، لكنْ قل لي كيف فسّرتَ قوله تعالى " إياك نعبدُ وإيّاك نستعين " ؟

قال أبو سعيد البيضاوي:

أنتَ تعلم – يا شيخي – أنّ جملة " إيّاك نعبد " وجملة " إيّاك نستعين " فيها تقديم كلمة " إياك " المنصوب على المفعولية على الفعل وفاعله " نعبد"، وكذلك " إياك نستعين ".

وهذا – كما تعلمون - تقديم ما حقّه التأخير، وهو – عند أهل البلاغة - يفيد الحصر والقصر والاختصاص.
ففي الجملتين حصر العبادة وطلب العون على الله وحده.

وفي الجملتين: التفاتٌ من الغَيبة إلى الخِطاب" إيّاك " لتنبيه القارئ والمستمع، لأن الخطاب أدعى للإصغاء، وأبعث على النشاط.

أجابه شيخه: إذا كان الأمر كذلك فلماذا جئتَ من بلدك تستعين بسلطان بغداد الذي قد يعطيك، وقد لا يعطيك، فترجع نادمًا ؟

هل غفلتَ عن قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: " وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ".

وكأنّ هذا الشيخ المبارك – الذكيّ في أسلوبه - كره أن يطرق العلماء أبواب السلاطين متمثلًا بقول القائل المنسوب إلى سيدنا علي – كرّم الله وجهه ورضي عنه -:

(بئس العلماء على أبواب السلاطين، ونعم السلاطين على أبواب العلماء).

وقول القائل:

إنما الحكـــــــــامُ نارٌ كلما قربتَ منهم تحـــــترق

فإذا لم تحترق في نارهم عشتَ مادمتَ لديهم تحت رق

وهنا اغرورقتْ عينا البيضاوي من كلام شيخه، ووقف وقفة المتأمّل، وكأنّ شيخه أيقظه من سبات، وقال:

- صدقتَ يا شيخي الجليل، هذا الذي تقوله الآن – والله - كنتُ أعظ به الناس، لكني أنسى نفسي.

" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " ؟

جزاك الله من ناصح مُشفق.

ثمّ عزم على الرجوع إلى بلده، ولم يستأنف مسيره إلى سلطان بغداد.

- " فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"

وهنا نقف – متفكرين - عند " إياك نعبد وإياك نستعين " التي يكررها المسلم في كلّ يوم مرات عدة، كيف تؤكد على المسلم أنْ يحصر عبادته – بكل تفاصيلها – وطلب العون على الله – سبحانه – وحده، وهو ذروة التوحيد.

نعم لا بأس من اتخاذ الأسباب المشروعة، لكنْ يجب أن يكون تعلقه ودعاءه وتوجهه – أصالة - لربه العظيم القدير سبحانه وتعالى، الذي ليس لقدرته وعطائه حدود.

فإذا ذهبتَ إلى الطبيب وجبَ عليك أن تعتقد أن الشافي هو الله، وما الطبيب والدواء سوى أسباب.

في كلّ محنة تمرّ عليك توجّهْ بدعائك وتبتّلك إلى قيوم السموات والأرض الحيّ القيوم، وإياك أن تخسر توحيدك وتعلقك بربك- سبحانه وتعالى -.

وقد ألّف ابن القيم – عليه رحمة الله – كتابًا سماه: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) شرح به كتاب (منازل السائرين إلى الحق المبين) لأبي إسماعيل الهروي، وتجنّب ما لا دليل عليه من الكتاب والسنة.

والكتاب كأنه خطاب توفيقي تصالحيّ بين المنهج الصوفي والمنهج السلفي، يحثّ الصوفية على التقرب إلى منهج السلف، والسلفية أن يكون لهم سلوك وتجرد وزهد منضبط بالكتاب والسنة.

ومن المنازل التي ذكرها – رحمه الله -:

منزلة الزهد، والورع، التبتل، الرجاء، المراقبة، تعظيم حرمات الله، الإخلاص، التصفية، الاستقامة، التوكل، التفويض، الثقة بالله، التسليم، الصبر، الرضا، الشكر، الحياء، الصدق، الإيثار، التواضع، الذكر، الإحسان، العلم، الحكمة.

بل إن في فتاوى ابن تيمية – رحمه الله – الجزء العاشر (كتاب علم السلوك) قال في مقدّمته:

(أما بعد فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب التي قد تُسمى المقامات والأحوال.....) .

أما تفسير البيضاوي فقد كان منهجه التركيزعلى قواعد العربية من نحو وصرف وبلاغة.

ولا يُنصح به للمبتدئين، لأنّ فيه بعض الأفكار الاعتزالية التي لم يستطع التخلّص منها لمّا اختصر (الكشاف) للزمخشري، وهو كذلك يختم كل سورة – على غرار الزمخشري – بحديث في فضلها، أغلب هذه الأحاديث ضعيفة، بل موضوعة.

لكن في اللغة العربية وقواعدها لا يُشق له غبار،لأنه عميق جدًّا.

ولا أزال أذكر الجمل التي كانت تستعصي عليّ في النحو – وأنا أحضّر رسالة الدكتوراه – فلا أجدها إلا فيه.

وهو تفسير مشهور شهرة واسعة حتى إنّ الدولة العثمانية ما كانت تُجيز الإمام والخطيب إلا بعد أن يختبر به.

ومن شهرته أن محققي الكتاب وجدوا له مئات النسخ في العالم الإسلامي، وقد يجدون في المكتبة الواحدة أكثر من نسخة.

وعلى الكتاب أكثر من مائة وثلاث وثلاثين حاشية.

رحم الله العالمَين الجليلَين ابن القيم والبيضاوي على جهودهما.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا، يا جواد يا كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المجتبى محمد وعلى آله وصحبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(41)

ضياعُ العمرِ في غيرِ القرآنِ

وزيرة قطرية تقول: في إحدى زياراتي للمدينة المنورة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - دخلتُ المسجد النبوي / قسم النساء.

وهناك وجدتُ إلى جواري امرأة ومعها ابنتها (كما كنتُ أظنّ، ثمّ تبيّن لي أنها زوجة ابنها – كنّتُها -) يتحدّثان عما يكابدانه من تعب ونصب في الحياة بسبب صعوبة العيش وغلاء الأسعار، وأنا لا أعرفهنّ ولا يعرفْنني، وأنا في قلبي أشفقتُ عليهما وتأثرتُ وحزنتُ لآلامهما.

ثمّ دخلْنَ إلى القرآن الكريم وتلاوته وتسميعه، ويبدو أنهما من الحافظات الماهرات.

بعد قليل التفتتْ المرأة إليَّ وقالتْ:

- أختي الكريمة، هل تحفظين القرآن ؟

وهنا تملّكني الخجل والحسرة وقلتُ لها:

- للأسف لا أحفظ القرآن.

قالتْ: يا بنتي أينَ ضيّعتِ عُمُرك ؟

فرجعتُ إلى نفسي كئيبة، وتعجّبتُ كيف كنتُ قبل قليل أشفق عليها وأحزن على حالها، والآن أنا أشفق وأحزن على نفسي، نفسي التي ظلّتْ تردّد كلمتها:

أين ضيّعتِ عمرك ؟ كم من الأوقات ذهبتْ سدًى بعيدة عن القرآن ؟

ترى هل أستطيع تدارك ما فاتني ؟ وهل أملك من قوة الشخصية ما أستطيع استغلال ما بقيَ من العمر في صحبة كتاب الله ؟

لقد شعرتْ هذه الوزيرة أنها – في الحقيقة والمنطق - هي الفقيرة، وهم الأغنياء، هم الأذكياء الذين عرفوا كيف يعمّرون حياتهم الباقية، ويستخفّون بالفانية.

- <u>" فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون ":</u>

فليسألْ كلٌّ منا نفسه:

هل أملك من الوعي والذكاء ما أقدر فيه على تنظيم وقتي والإقبال على حفظ كتاب الله ؟

هل يحافني الحظ – قبل أن تعاجلني المنيّة – أن يضمّ صدري كلام الله فيدخلَ معي إلى القبر ؟

أم ستأخذني رياح الكسل والتسويف كما أخذتني من قبل فأرجع إلى روتين حياتي الرتيبة، فلا يكون همّي إلا الأكل والشرب والنوم والكلام الفارغ الذي يحمل الغيبة والنميمة والهرْج الذي لا أحصد منه إلا الإثم ؟

ياربّي أعنّي على الرجوع إليك، يا أكرمَ من سُئل.

- <u>أيها الإخوة الأحباب:</u>

تعالوا معنا نقرأ أول سورة الرحمن: " الرحمن، علّم القرآن، خلق الإنسان "

" الرحمن علّم القرآن " تعالوا نسأل أنفسنا:

ما الذي جاء بكلمة " الرحمن " بجوار " علّم القرآن " ؟

والرحمن والرحيم على وزن فعلان وفعيل من أمثلة المبالغة والعمق في النحو، والرحمن أكثر رحمة وأشمل.

ألا ترى أنّ هذا القربَ يشير إلى قرب أهل القرآن من رحمة الله في الدنيا والآخرة ؟

" الرحمن علّم القرآن ".

وتعالَ معي نقرأ " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ".

انظر إلى المعنى الجميل في الآية: إنّ صحبتك لكتاب الله هو اصطفاء واختيار ومنحة من الله لك، وليس بحولك أنت وقدرتك.

فما أعظمك أيها المسلم عندما تكون من أهل القرآن !.

وما أجمل قول سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الصحابي العابد ذي الصحيفة الصادقة:

(من جمع القرآن في صدره فكأنما استدرج النبوة بين جنبيه إلا إنه لا يوحى عليه).

بل إنّنا نرى أكابر العلماء -على ما قدّموا من علم وكتب - يتمنون لو صرفوا أوقاتهم كلها في اقرآن ، هذا سفيان الثوري رحمه الله يقول:

(ليتني لم أنشغل إلا بالقرآن)

وابن تيمية، وهو من هو، جهاد وسجن في سبيل الله، وعلم ملأ الآفاق يقول:

(وندمتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن)

والآن تعال – معي أخي الحبيب - نتعرف على الوسام الرباني لحملة كتاب الله:

في صحيح ابن ماجه :

" إنَّ للَّهِ أَهْلينَ منَ النَّاسِ قالوا: يا رسولَ اللَّهِ ، من هُم ؟ قالَ: هم أَهْلُ القرآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وخاصَّتُهُ ".

عندما نقول: هؤلاء هم أهل هذا الرجل وخاصته، أي المقرّبون جدًّا إليه.

اللهم اجعلنا من أهلك وخاصّتك، وأعنّا على حفظ كتابك والعمل به ، ياربّ العالمين.

- ويلزمنا هنا أنْ نعرّج على قوله – سبحانه – "

" وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ".

بأيّ شيء يكون الهجر للقرآن، وما هي الأعمال التي يعملها الإنسان حتى يُطلق عليه أنه هاجرٌ للقرآن ؟

هل الهجر يكون بهجر تلاوته، أم هجر العمل به، أم بهجر تدبّره، أم هجر الاحتكام إليه، الاستشفاء به ؟

الجواب: كلُّ ذلك، فأي هجر من هذا هو هجر لكتاب الله – عزّ وجلّ _.

- مسك الختام قول ابن القيم في (زاد المعاد):

(أهل القرآن هم العالمون به العاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم).

اللهم لا تجعلنا ممن يهجرون كتابك والعمل به، واجعلنا من أهله الذين هم أهلك وخاصتك.

وصلى الله وسلّم وبارك على حبيبنا المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاقصص القصص

(42)

كيف تزكي نفسك بالزكاة ؟

يُحكي أنه في سالف الأزمان كان هناك ملك ذكيّ أراد أن يختبر وزراء له ثلاثة، فمنح كلّ واحد منهم بستانًا يزدان بأنواع من أشجارالنخيل الباسقة الفاخرة التمور، وأشجار الفاكهة والأزهار.

وحين حان موسم جزر التمور أرسل إلى كلِّ وزير منهم مبعوثًا خاصًا، يطلب منه أن يعطيَه سلة من التمر الجيد.

- أما الوزير الأول فكان ذا ذكاء وقلب حيّ، فقال:

إنّ الملك صاحب فضل عليّ وعلى أهلي، ولولاه لما كنّا نملك شيئًا، فأمر فلّاحِي بستانه أن يختاروا أجود أنواع التمور، ويملؤوا سلة كبيرة منها.

- وأما الثاني فقال:

إنّ في قصر الملك أفضل أنواع التمور، تَرِدُ إليه كلّ وقت، فما حاجته إلى تمري ؟

فملأ السلة بأنواع رديئة من التمر، معتقِدًا أنّ الملك غير محتاج.

- وأما الوزير الثالث فقال:

هذه مكيدة من حاشية الملك الحاقدين، فالملك سوف لن يرى سلّتي ولا يفتحها، وهل عند الملك الوقت لينظر ما فيها، فأمر الفلاحين أن يملأوها بالحصى والتراب، ويغلّفوها بغلاف جميل، لأن الملك سوف ينظر من بعيد، ويعرف أنّ هذه السلال من فلان وفلان وفلان فقط، ولا ينظر ما فيها.

ووصلت السلال إلى الملك، فأمر – استكمالا للاختبار الذي خطّط له – أنْ تُفتحَ أمامه هذه السلال، ثمّ أمر أن يُوضع كلّ وزير من الوزراء الثلاثة في زنزانة خاصة في سجن العاصمة، ولا يُقدَّم لأيٍ منهم طعامًا ثلاثة أيام متوالية، سوى السلة التي قدّمها.

وهنا يقفز إلى أذهاننا الحديث القدسي الذي يرويه الإمام مسلم رحمه الله:

" يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَه" .

أخي الحبيب: (ولا مناقشة في الأمثال) إنّ ملك الملوك – سبحانه وتعالى – له نِعَم علينا لا يعدُّها العادُّ ولا يُحصيها المُحصي.

وطلبَ منَّا إذا بلغتْ أموالُنا نصاب الزكاة وحال عليها الحول الهجري أن نُخرج منها لمستحقيها ربع العُشر كما يقول الفقهاء.

وربع العُشر هو ٢,٥ اثنان ونصف بالمائة، أي واحد من أربعين، فلو كان عندك – مثلًا – أربعون مليون دينار عراقي، ومرّ عليها سنة هجرية، فعليك مليون واحد، ولك تسعة وثلاثون.

لكن انظر إلى حبائل الشيطان، الذي يصغّر في عينيك التسعةَ والثلاثين، ويكبّر الواحد، ليمنعك من الإنفاق، فيحرمك البركة في الرزق، والبركة في الحياة:

" الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ".

وقد ثبت عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قوله:

" ثلاثٌ أُقسِمُ عليهنَّ وأُحدِّثُكم حديثًا فاحفظوه قال:

ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِم عبدٌ مظلمةً صبر عليها إلَّا زاده اللهُ عزًّا فاعفوا يُعزَّكم اللهُ، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلَّا فتح اللهُ عليه بابَ فقرٍ".

انظر – بدقة – أخي الحبيب – إلى هذه النقاط الثلاث التي يُقسم عليهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ونادرًا ما يُقسم – عليه الصلاة والسلام – وهو الصادق المصدوق).

ولم يُقسم على هذه الثلاث – والله أعلم - إلّا لأنّ الشيطان له مدخل خاصّ عليهنّ.

الأولى: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ:

في الوقت يصوّر لنا الشيطان أنها نقصتْ، وربك يثبت أنّ المال يزيد ويبارك فيه وفي صاحبه.

هل وصلْنا إلى درجة اليقين ونحن نقرأ قوله – جلّ ثناؤه – " وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ "

٢ – ولا ظُلِم عبدٌ مظلمةً صبر عليها إلَّا زاده اللهُ عزًّا فاعفوا يُعزَّكم اللهُ:

بينما الشيطان يصوّر لنا العفو أنه مذلة، والله يثبت أنه عزة .

٣- ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلَّا فتح اللهُ عليه بابَ فقرٍ:

لا يزال الإنسان يسأل الناس حتى يفتح عليه باب فقر.

وفي حديث ثوبان رضي الله أنه عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل الناس شيئًا، فكان يسقط سوطه وهو على فرسه، فلا يقول لأحد ممن يمشي على الأرض:أعطني سوطي، بل ينزل هو من فرسه ليأخذه رضي الله عنه.

ونختم بالآية " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "

تأمّلْ " صدقةً تطهّرهم وتزكّيهم بها ".

ليست – فقط – تزكّي المال، فالعربُ تقول: (زكا الزرع) بمعنى نما، بل تزكّي صاحب المال وتطهّرُهُ.

اللهمّ زكِّنا، وزكِّ أموالنا وأزواجنا وأولادنا.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا،واهدنا واهدِ بنا، يا أكرمَ من سُئل وأجود من أعطى.

وصلى الله وسلم على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(43)

كيف تعرف أنّ الله – سبحانه – قد قَبِل عملك ؟

يحكي أحدهم:

يقول: خرج أهل قريتي كلّهم إلى الصحراء للاستسقاء، يصلون ويدعون ربهم – سبحانه – أن يسقيَهم الغيث، فقد جفّ الضرع ويبست الأشجار، وندر الطعام.

صلوا ودعَوا، لكنّ الله – جلَّ في عليائه – لم يستجب لنا، فلم تنزل قطرة واحدة من السماء، وفي اليوم التالي خرجوا ودعّوا بإلحاح وتضرع وانكسار، فلم يروا في السماء قطعة سحاب.

يقول الراوي: وكنتُ في الليل جالسًا في زاوية من زوايا المسجد، فدخل رجلٌ فلم يرَني، واستقبل القبلة فصلّى، وفي سجوده بكى بكاءً شديدًا،وقال:

ياربّ يا ربّ بحقّ ما بيني وبينك إلّا أجبتَ دعائيَ الليلةَ ، وأنزلتَ غيثَكَ ورحمتك الليلة الليلة ، بحق الذي بيني وبينك.

يقول الراوي: فوالله ما إنْ همّ الرجل بالخروج من المسجد إلّا والسماء تلبّدتْ بالغيوم وأنزلتْ المطر الذي نرجوه.

قال الرجل: فتبعتُهُ حتى أعرف مكانه دون أن يراني، فإذا هو رجلٌ من فقراء الناس، فهيّأتُ له طعامًا ونفقة، وعندما رأى عطائي هذا بادرني بالسؤال:

لماذا كلّ هذا العطاء ؟

فقلتُ: رأيتُك الليلة الفائتة دخلتَ المسجدَ فقلتَ في دعائك كذا وكذا، فاستجاب الله دعاءك جزاك الله خيرًا.

قال: فسمعتُهُ يقول بينه وبين نفسه:

ياربّ، أما وقد عرفَ الناسُ ما بيني وبينك فاقبضي إليك.

قال الرجل: صليتُ الفجر في اليوم التالي، فإذا جنازة، ولمّا سألتُ عنها قالوا: إنه ذلك الرجل.

- " فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون "
- السؤال المتبادر: لمذا يُخفي أهل الصلاح والورع أعمالهم عن الناس ؟
- أليس خوفًا على أعمالهم من الرياء الذي يُحبط العمل ؟
- نعم.

أكثرنا – والحمد لله – يعمل الصالحات يصلي ويتصدق ويعتمر ويحج ويقرأ القرآن ويصوم الفريضة والنفل، لكنّ بعضنا – هداه الله - لا يترك مجلسًا إلا ويتحدث فيه، أنا أصوم الاثنين والخميس، أنا أقرأ يوميا ثلاثة أجزاء، أنا أكفل عشرة أيتام !!

يا مسكين أما تخشى أن يتحوّل عملك إلى رياء، نعم عندما تتحوّل نيتك من طلب وجه الله إلى طلب وجه الناس وثنائهم، فعندها ينقلك الشيطان إلى الرياء، وحينئذٍ تُحبط عملك، بل وتتحمّل وزرك أمام الله.

قيل: يارسول الله – والحديث حسن - :

أرأيتَ رجلًا غزا يلتمِسُ الأجرَ والذِّكرَ ما له ؟

انتبهْ جيّدًا للسؤال: أرأيتَ رجلًا غزا يلتمِسُ الأجرَ (يعني عند الله) والذِّكرَ (لكي يذكره الناس بالمدح) ما له ؟

فقال : لا شيءَ له ، فأعادها ثلاثَ مرَّاتٍ، يقولُ لا شيءَ له ، ثمَّ قال : " إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهُه "

بل يجب عليك حتى إذا كان عملك لله أنْ تسأل نفسك:

هل قَبِل الله عملك أم لا ؟

أليس من الضروري أنْ يسأل المسلمُ نفسه هذا السؤال ؟

تعال معي - أخي الحبيب – لننظر :

سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل أنبياء، وأُمِرا - من الله - بعملٍ هو بناء الكعبة، ومع ذلك يخافان أن لا يقبل الله عملهما .

- " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا (ربنا تقبل منا) إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ".
- هذا مثال، والمثال الثاني:
- في صحيح الترمذي عن أمنا عائشة – رضي الله عنها عن أبيها -:
- سألتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عن هذِهِ الآيةِ " وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " قالت عائشةُ : أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ قالَ لا يا بنتَ الصِّدِّيقِ، ولَكِنَّهمُ الَّذينَ يصومونَ ويصلُّونَ ويتصدَّقونَ ، وَهُم يخافونَ أن لا تُقبَلَ منهُم، أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ.

طيب، سيسأل كلٌّ منا نفسه:

ترى (ونحن نعلم أنّ الله – سبحانه – تركنا على المحجة البيضار ليلها كنهارها) هل يستطيع المسلم أن يعرف إن كان عمله مقبولًا أم لا ؟

نعم قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : (لا يقبل الله من العمل إلا أخلصَهُ وأصوبَهُ) .

قالوا له ولِمَ ؟

قال: لأنه إذا كان خالصًا لوجه الله ولم يكن صوابًا موافقًا لسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لا يُقبل، وإذا كان موافقًا للسنة ولم يكن خالصًا لوجه الله لا يُقبل.

وقد جمع الله لنا هذين الشرطين في آخر آية في سورة الكهف التي نقرأها ليلة ويوم كلّ جمعة.

" فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ".

" فليعمل عملًا صالحًا " ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا كان على سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

" ولا يُشرك بعبادة ربه أحدًا " هذا هو التوحيد والإخلاص، الذي هو العمود الفقري للأعمال.

اللهم إنّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم وأنت تعلم.

اللهم إنّا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

اللهم أحينا حياة السعداء، وأمتْنا ميتة الشهداء، وارزقنا صحبة الصالحين، وأكرمنا بمرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء.

وصلى الله وسلّمَ على الحبيب المصطفى وآله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(44)

عبد القادر الجيلاني يُمتحن

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتبه يقول: (قدّس الله روحه) ويصفه بأنه: إمام الفقه والحديث والروح، بل قال: وأنا على منهجه.

كان رحمه الله مفتي الحنابلة، وكان ذا باع في الحديث، بالإضافة إلى زهده وورعه.

وأذكر- من وقت ليس بالبعيد - عندما كنتُ طالبًا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة (حرسها الله) كان معي طالبٌ مصري يبحث عن موضوع لرسالة الماجستير، فاقترحتُ عليه أن يكون موضوع رسالته الشيخ عبد القادر فقال: حتى أستشير شيخي عبد العزيز بن باز، ثمّ رأيتُهُ بعد ذلك فقال: لقد استحسن الشيخ ابن باز العنوان، وشجّعني عليه.

ما أجمل أن تؤخذ حياة الشيخ عبد القادر بحثًا يتناول فيه الباحث عقيدة الشيخ التي هي عقيدة السلف الصالح بالإجماع، وفقهه وهو مفتي الحنابلة في بغداد، وورعه وزهده، وهو مضرب المثل في ذلك، والله سيكون من البحوث المهمة التي يُشار إليها.

مرّ الشيخ عبد القادر الجيلاني – قدّس الله سرّه – بامتحان عسير، لكنّ الذي نجّاه – بعد توفيق الله – هو تضلّعه بالعلم الشرعي الأصيل.

في ليلة من الليالي نظر فوقه فإذا عرش عظيم ينبعث منه نورٌ، وإذا بصوتٍ ينادي:

يا عبد القادر، أنا ربّك، أنا ربّ العالمين، لقد أسقطتُ عنك الصلاة والفرائض، وأبحتُ لك كلّ محرَّم.

قال الشيخ عبد القادر: فانتبهتُ وبصقتُ عليه وقلتُ:

اخسأ يا إبليس يا عدوّ الله، الصلاة لم تسقط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كان آخر كلامه في الدنيا: الصلاة الصلاة وما ملكتْ أيمانكم، فلا تشريع في تحليل ولا تحريم بعد الحبيب المصطفى – عليه أفضل الصلاة والسلام -.

فردّ إبليس لعنه الله:

لقد نجوتَ – يا عبد القادر - بعلمك، ولقد أضللتُ قبلك سبعين عابداً.

- **العبرة من القصة:**

انظر: عندما يتسلّح المسلم بالعلم الشرعي، كيف يدحر سهامَ الأبالسة من الجنّ والإنس.

أما إذا لم تكن متسلّحًا بالعلم الشرعي، فستكون فريسة سهلة للشيطان وأذنابه.

أذكر قصة واقعية وقعتْ في المدرسة الدينية في الجامع الكبير في الرمادي، وكان في المدرسة طلاب متفرّغون للعلم، فطعامهم ومبيتهم داخل المدرسة.

وكان من بين الطلاب طالبٌ يحبّ المزاح ويعمل المقالب لأصدقائه من باب الدعابة، وكان من بين المصلين المداومين رجلٌ يعمل حارسًا، ليس عنده علم شرعي كافٍ، وكان يفتح باب الجامع – يوميًّا - قبل أكثر من ساعة من صلاة الفجر، يتوضأ ويتهجد ويقرأ القرآن.

رصد هذا الطالب صاحب المقالب لهذا الرجل المسكين يومًا من الأيام، فعندما انتهى الرجل من الوضوء قبل الفجر، وأراد أن يتوجه إلى المسجد وقف هذا الطالب في مكان خفيّ عند شباك صفير، ونادى:

يا فلان بن فلان (الرجل) إني أنا ربّ العالمين، اسمع لما أقول لك:

لقد أتعبتُك في الصلاة والتهجد، اعلم أنّي أسقطتُ عنك الصلاة، فأنا غنيٌّ عن عبادتك، فاذهبْ وتفرّغ لأمورك وعيالك،

دخل الرجل إلى غرفة في المسجد، ولم يصلِّ مع الناس، فجاءه هذا الطالب الخبيث بعد انتهاء الصلاة، وسأله فقال: اتركني أنا مريض.

وفي اليوم التالي رآه الناس يأتي إلى المدرسة الدينية لكنّه لا يصلّي.

وصل الخبر إلى أحد أساتذة المدرسة، فأخذ معه الطالب المشاغب إلى هذا الرجل، وأغلق الباب، وذكر له قصة المقلب الذي عمله هذا الطالب، فتأثّر كثيرًا وقال:

والله لا أصلّي بعدُ في جامعكم هذا، سامحكم الله.

تأمّل الفرق بين المتسلّح بالعلم، والمتسلّح بالجهل من المسلمين.

- إذًا أوّل عبرة من هذه القصص:

أنه يجب على كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يكون متسلّحًا بسلام العلم لينجو – بإذن الله – من المخاطر المحدقة به، والتي يقودها شياطين الإنس والجنّ.

ربّ قائل يقول أنا مهندس، أنا طبيب، أنا عسكري، أنا كادح في رزقي، ليس تخصصي الشريعة والدين.

أقول له: مهما كانت صنعتك فأنت – قبل كلّ شيء – مسلم سيأتيك يومٌ تقف فيه بين يدي ربك، ويسألك: ماذا تعلّمتَ من دينك وماذا عملتَ بهذا العلم.

والسؤال الآن كيف نطلب العلم ؟

الخطوة الأولى: أنْ تحسّنَ تلاوتك للقرآن الكريم (إذا لم تكنْ تُحسنها) ثم تدبّرالقرآن، والعمل به.

ثمّ تبدأ بالمتون الصغيرة من كتب الفقه والحديث والتفسير، وتبحث عن مشايخ ربانيين لتثني ركبتيك أمامهم بتواضع وصبر وشوق إلى العلم.

بل تستطيع الآن أن تطلب العلم على يدي مشايخ انتقلوا إلى دار ربهم، وتركوا تسجيلات على مواقع النت واليوتيوب، تُصَبّرُ نفسك على التواصل والطلب، فوالله إنْ فاتك العلم بشريعة رب العالمين، ستندم حيثُ لا ينفع الندم.

وأقترح عليكم كتاب (منهاج المسلم) للشيخ أبي بكر الجزائري (رحمه الله) الواعظ بالمسجد النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، والكتاب دليل شامل لحياة المسلم، يغطي العقيدة، الآداب، الأخلاق، العبادات (مثل الوضوء والغسل والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة) والمعاملات، وفقاً للكتاب والسنة، يتميز الكتاب بأسلوبه الميسر وشموليته، ويعد قانوناً للمسلم في شتى شؤون حياته.

اللهمّ فقّهنا في ديننا، وامنحنا توفيقك ورضاك يا أكرمَ من سُئِل وأندى من أعطى.

وصلى الله وسلّم وبارك على الحبيب المصطفى وآله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(45)

إنّما بُعثتُ معلِّمًا

قصتنا – هذا الأسبوع – من اليمن، فكّ الله أسره، وأذهب عنه همّه وغمّه.

قاضٍ من قضاة صنعاء، رُفعتْ إليه قضية من القضايا، مفادها أن مالكَ عقار قدَّم شكوى على مدرّس رياضيات في مدرسة، لأنّ هذا المدرّس لم يدفع إيجار شقته منذ أشهر بسبب تلكؤ صرف الرواتب واضطراب الحالة الاقتصادية في البلد، وتراكمتْ عليه الإيجارات حتى بلغتْ ثلاثمائة ألف ريال يمني.

نظر القاضي إلى المدرس (قاسم عبد الودود) رجلٌ وهن عظمه، واشتعل رأسُهُ شيبًا.

يا إلهي هذا هو الأستاذ قاسم الذي درّسني الرياضيات في الابتدائية، كان شعلة من النشاط والحيوية، والالتزام الديني، سبحان الله، إلى أين وصل حاله.

تساقطت دموع القاضي على خدّيه بغزارة حتى أصبح لا يملك تخفيفها، وسط دهشة الحاضرين الذين لا يعرفون سرّ هذه الدموع.

وهنا أعلن القاضي تأجيل الجلسة نصف ساعة.

اتّصل القاضي على ابنه، وأمره أن يحضر المبلغ المطلوب بسرعة.

انتهت النصف ساعة، وأعلن القاضي استئناف الجلسة، ثمّ نادى على التاجر صاحب العقار أنّ مبلغه مؤمَّن، وعليه التفضل بتسلّمه من الشؤون المالية في المحكمة.

وهنا دارتْ أسئلة عدة في رأس المدرس المشتكى عليه:

تُرى هل إنّ أختي سارة هي التي دفعت المبلغ ؟ لكني أعلم أنها لا تملك إلا خاتما واحدًا من ذهب تتزيّن به .

أم الذي دفع المبلغ أخي حسان الذي لا يملك إلا راتبًا لا يكاد يسدّ الضروريات من حاجاته.

ليس عندي إلاّ أختي سارة وأخي حسان.

ظلّت هذه الأسئلة الحائرة تتجاذبها الأفكار في رأسه.

أعلن القاضي انتهاء الجلسة، وانفضّ الجميع.

وهنا حفز القاضي نفسه، وأسرع إلى سيارته، ووقف عند بوابة المحكمة، وانتظر حتى خرج الأستاذ قاسم عبد الودود.

ناداه القاضي: تفضّل يا أستاذ قاسم أوصلك إلى بيتك.

نظر الأستاذ في وجه صاحب السيارة وقال:

معذرة يا حضرة القاضي، أنا أحبّ المشي في هذا الجوّ اللطيف، جزاك الله خيرًا.

لكنّ القاضي ألحّ عليه حتى ركب.

ثمّ أخذه القاضي وأنزلهُ عند مطعم فخم تتلألأ أضواؤه من بعيد، وطلب له ما لذّ وطاب.

لكنّ الأستاذ قاسم لا يزال مستغربًا من صنيع القاضي هذا، حتى فاجأه القاضي بقوله:

يا أستاذي قاسم، أنتَ درّستني مادة الرياضيات في المدرسة الفلانية سنة كذا، أولا تذكر تلميذًا فقيرًا كان يرتجف من البرد فنزعتَ معطفك لتُدفئهُ، ثمّ خرجتَ من المدرسة لتشتريَ له قمصلة صوف، وتهديَها له ؟

قال له الأستاذ قاسم: أأنتَ أسعد ؟

قال: نعم أنا أسعد، تلميذك الذي لا ينسى معروفك يوم كنتُ بأمسّ الحاجة إلى هذا المعروف.

قال الأستاذ: أفهم من ذلك أنكَ أنتَ الذي دفعتَ عنّي المبلغ في المحكمة ؟

ضحك القاضي وقال:

والله إنه لا يساوي مسحة حانية منك على رؤوس الأطفال، وتفقّدك للمحتاجين.

والله لقد تعلّمنا منك الأدب والعلم والدين.

يا سيّدي لن تدفع بإذن الله بعد اليوم ريالًا واحدًا لإيجار شقتك.

يا سيّدي: صاحب المعروف لا يقع، وإذا وقعَ يجدُ له متّكئًا.

- <u>أيها الإخوة الأحباب:</u>
- <u>هذا هو الدرس الأول من القصة:</u>

صاحب المعروف لا يقع، وإذا وقعَ يجدُ له متّكئًا (كما يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه).

وفي صحيح البخاري: قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم :

" والله لا يُخزيك الله أبدًا، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق " .

أدركتْ خديجة رضي الله عنها بفطرتها أنّ من يتّصف بهذه الصفات ويساعد الناس فإنّ الله – جلّ شأنه – لا يتركه وشأنه، بل يكفيه حاجته، ويزيد.

حتى الحُطيئة الشاعر المخضرم الذي عاصر الجاهلية والإسلام والمتوفى سنة ٤٥ هجرية يقول:

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللهِ وَالناسِ

يعني حتى لو ذهب المعروف عند الناس وأنكروه فإنّ الله لا ينساه.

- <u>الدرس الثاني: الوفاء لمن قدّم لك معروفًا.</u>

ولو قلّبْنا صفحات التاريخ كلّها لم نجدْ وفاء كالذي عند الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

عندما خرج النبي الكريم – عليه أفضل الصلاة والتسليم – إلى الطائف وآذاه أهل الطائف حتى سخّروا أطفالهم يرمونه بالحجارة، وأقفلتْ مكةُ أبوابها في وجهه عليه الصلاة والسلام، قام المطعم بن عديّ – وهو مشرك – بإيواء النبي الكرين صلى الله عليه وسلم، وأمر أولاده الأربعة أن يتسلّحوا وأن يقف كلٌّ واحد منهم عند ركن من أركان الكعبة المشرفة وأن يحموا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندا يدخل المسجد الحرام.

ونادى على قريش: محمد في جواري (أي في حمايتي).

فقال له أبو سفيان وكان – يومئذ – على الكفر:

أدخلتَ في دينه، أم هو في حمايتك فقط ؟

فقال: بل هو في حمايتي.

وتوسّعت الدعوة ، وهاجر النبي الكيم – عليه الصلاة والسلام – إلى المدينة، وتوفي المطعم بن عديّ، ووقعتْ معركة بدر الكبرى، وأسر المسلمون من قريش سبعين أسيرًا، في هذه الأثناء قال عليه الصلاة والسلام:

" والله لو جاءني المطعم بن عديّ وكلّمني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له "

رجل مشرك أسدى إلى دعوة الإسلام معروفًا في مكة لم ينسَهُ له عليه الصلاة والسلام .

ولو دقّقنا النظر في أمور الحياة لرأينا أنّ الوفاءَ أساسُ كل شيء، فنحنُ نعبدُ الله – سبحانه – وفاء لأنه خلقنا ورزقنا وهدانا، وفاؤنا للميثاق الذي واثقنا به، وذلك بالبقاء على توحيده وعبادته وعدم الإشراك أو الكفر به، ونصلي على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ونحبّهُ أكثرمن أنفسنا، لأنه به أنقذنا الله من جهنّم، ونحبّ والدَيْنا ونكرمهم ونطيعهم ونبرّهم لأنهم تعبوا في تربيتنا وشقَول لكي نسعد، والوفاء في الحياة الزوجية، والوفاءُ للدائنين بحقوقهم وفي مواعيدهم، دونما تأخير أو مماطلة، وهكذا.

- <u>الدرس الثالث: أثر المعلّم في التربية والتوجيه.</u>

وفي صحيح الجامع: " إنّ الله لم يبعثني معنّتًا ولا متعنّتًا ولكن بعثني معلّمًا ميسّرًا "

وقيل لعبد الله بن المبارك: لو بقيَ من عُمرك يومٌ واحدٌ ماذا ستعمل فيه قال رحمه الله: أعلّم الناس الخير.

والمعلّم لا يُشترط أن يكون موظّفًا رسميًا في المدارس بل كلّ واحد منا يستطيع أن يعلّم ولده أو زوجته أو جاره أو صديقه أو أحدًا من الناس، ويمنحه شيئا من العلم أو التوجيه أو النصيحة.

كنتُ مع أحد الأصدقاء فمررنا بشابّ يدخّن قلتُ:

ما رأيك ؟ نسلم على هذا الشاب ونقدّم له النصيحة، قال: طيّب.

سلّمنا على الشاب، كيف حالك ؟ في أيّ سنة دراسية تدرس ؟

وإذا هو لا يدرس، بل يعمل مع العمّالة:

- تسمح لنا أن نكلّمك عن فوائد التدخين، قال: هو أصلًا ليس فيه فوائد، بل كلّه مضار.
- هل أنت متأكد ؟
- نعم.

سأعدّد لك مضاره التي تحدّثتَ عنها:

المضرة الأولى دينية، أنا لا أقول لك التدخين حرام أم حلال، لكن أقول لك:

الذي يفتي في هذه المسألة ليس علماء الدين، بل الأطباء.

فإذا قال الطبيب: ثبتَ ضررُهُ، نقول لك ثبتت حرمته، وإلا هل تعتقد أن دين الرحمة يبيح لنا ما ثبت ضرره، المفتي الآن هو الطبيب.

المضرة الثانية صحية، أثبت الطبّ بما لا يدع مجالًا للشك أنّ التدخين يسبب السرطان، بل وأمروا شركات التبغ أن تكتب هذا على عِلب التدخين، لكنها حبر على ورق، لا أحد تهزّه هذه العبارة من كثرة تكرارها.

المضرة الثالثة تربوية، هل تعتقد أنّ الأب المدخّن يستطيع أن ينهى ولده عن التدخين.

المضرة الرابعة اجتماعية، فالمدخّن ينفثُ رائحة تؤذي من يجالسه، بل إنّ من المصلين من لا تستطيع الصلاة بجانبه، أليس كذلك ؟ قال: نعم.

المضرة الخامسة اقتصادية، هذا المبلغ الصغير الذي دفعتَه لشراء علبة السجائر لو تصدّقتَ به على فقير، ألم يكنْ لك ذخرًا في الدنيا والآخرة.

قلتُ: إذًا نتركك لكي تفكّر في هذه الأمور، فإذا اقتنعتَ وكانتْ عندك إرادة الرجال تركتَها.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

اللهم أحينا حياة السعداء، وأمتْنا موت الشهداء، وارزقنا صحبة الأصفياء، وامنحنا مرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء.

وصلى الله وسلمَ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(46)

كسرى يختبر شعبه

جاء في كتاب العِقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي قصة عن كسرى ملك الفرس، وكلمة كسرى لقب تعظيمي كان يُطلق على ملوك الإمبراطورية الساسانية في فارس، مثل قيصر ملك الروم، وفرعون ملك مصر.

كسرى هذا الذي نتحدث عنه عاش قبل الإسلام.

في ديوان المملكة جلس كسرى ومعه حاشيته ومقّربوه، وطرحَ عليهم فكرة غريبة عليهم، وهي أنه يرغب في مصاهرة العرب، أي يتزوّج منهم، فاعترض الجميع:

يا جلالة الملك، هؤلاء قوم أجلاف، يركضون خلف الإبل والغنم، يبولون على أعقابهم، حياتهم لا تعرف النظافة، ونحن قوم نتّسم بالوسامة والجمال والنظافة والحضارة التي شهد لنا بها العالم.

وهنا سكتَ الملك، ثمّ انفضّ المجلس.

وفي اليوم التالي أحضر الملك صندوقًا، واستخرج منه قطعة جميلة من ذهب، وقال:

هذا الذهب الذي بين أيديكم يُقدّر بعشرين ألف دينار ذهبي، سأعطيه لمن يخلع ثيابه كلها، ويقف أمامي كما ولدتْ أمه.

وهنا الجميع بادر وخلع ثيابه ووقفوا أمام الملك،في منظرغريب.

ثم أراد الملك أنْ يعرف من الذي نزع أولًا قبْلَ الجميع ليُغطيَهُ الجائزة.

وأخيرًا عرفوا بالأدلة المعاينة من الذي نزع أوّلًا، وأعطيتْ له الجائزة.

وفي الجلسة القادمة قال لهم كسرى:

سمعتُ أنّ عندنا في المملكة رجلٌ عربيٌّ يعمل حدّادًا، قالوا:

نعم

قال: عليّ به، أحضِروه.

جاء الرجل العربيّ الحداد ووقف بين يدي الملك، مستغرِبًا من هذه الدعوة، خائفًا من مصيره، ترى ماذا يريدُ مني الملك ؟ وأنا رجلٌ حدادٌ لا همّ لي إلّا مهنتي وعائلتي ؟

وهنا طَمْأَنَهُ الملك وقال له:

دعوناك لشيء هو في صالحك، اطمأنّ الرجل، وجلسَ.

بعد لحظات أخرج الملك كسرى من صندوق فاخر عِقدًا ذهبيًا، وأخبرهم أنّ قيمته لا تقلّ عن عشرين ألف دينار ذهبي.

وهنا تأهّب الجميع، ووضعوا أيديهم على ثيابهم استعدادًا للنزع.

فالتفتَ كسرى إلى الرجل العربيّ وقال:

أيّها العربيّ، سأعطيك هذا العِقد إذا نزعتَ ثيابك، ووقفتَ أمامي كما ولدتْك أمّك.

تغيّر وجه الرجل العربيّ وقال:

هل تعطيني الأمان إذا تكلّمتُ ما في قلبي ؟

قال: نعم.

قال: يا جلالة الملك، والله لو أعطيتني ملكك كله على أنْ أنزع عمامتي من رأسي ما فعلتُ.

قال كسرى لجلسائه: أدركتم لماذا أرغبُ في مصاهرة العرب ؟

أخي الحبيب: احتفظ بهذه الصورة في ذهنك عن عُرف العرب وهم في عصور الجاهلية في الشرف.

وتعالَ انظر إلى حال المرأة العربية في الجاهلية أيضًا:

النابغة الذبياني شاعر جاهلي، انظر ماذا يقول في معلّقته المشهورة:

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسقاطَهُ فَتَناوَلَتهُ وَاتَّقَتنا بِاليَدِ

نَظَرَتْ إِلَيكَ بِحاجَةٍ لَم تَقضِها نَظَرَ السَقيمِ إِلى وُجوهِ العُوَّدِ

(والنصيف هو خمار المرأة الذي تغطّي به وجهها عن الرجال الأجانب)

فالمرأة الجاهلية عندما رأت الرجال، سقط نصيفها رغمًا عنها، وليس بإرادتها، فتناولتْه بيدٍ وأرجعتْهُ، ووضعت اليد الأخرى على وجهها لتتّقي رؤية الرجال الأجانب لها.

هذا – أيها الإخوة - في الجاهلية قبل الإسلام.

- " فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون "

طبعًا لا نقول هذا الكلام بدافع العنصرية للعرب، " إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم " و" لا فضل لعربيّ على أعجميّ إلا بالتقوى".

لكن رسولنا الكريم صلى الله علسه وسلم يقول:

" إنما بُعثتُ لأتمّمَ مكارم الأخلاق " وفي رواية " صالح الأخلاق ".

إذًا في العرب أرضية صلبة في الأخلاق والشِيَم.

وسؤالي: هل رجعنا – نحن العرب – الآن إلى جاهلية بُعدنا عن الإسلام ؟

لماذا هذا العري أو شبه العري في النساء قبل الرجال ؟

تُرى ألا نحتاج اليوم إلى تجديد إيماننا، والنظر في حالنا اليوم، خاصة ونحن مُقبلون – إن شاء الله – على شهر الطاعات والقُربات ؟

اللهم ردّنا إليك مردًّ جميلا، كي نكون أهلا لتوفيقك ورحمتك.

اللهم آمين .

فاقصص القصص

(47)

جئتُ لأرى الإمام مالك لا لأرى الفيل

روي عن الإمام مالك رأس المذهب المالكي رحمه الله أنه كان جالسًا بين تلامذته يشرح لهم الموطّأ (كتاب الحديث والفقه المعروف).

سمعوا جَلَبة وضوضاء خارج المسجد، ولمّا استفسروا قالوا لهم:

إنّ هناك رجلًا يقود فيلًا ضخمًا في شوارع المدينة، ولم يكن لأهل المدينة عهدٌ برؤية الفيل، إنما كانوا يقرأون " ألم ترَ كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل " يقول المفسرون:

(الفيل : حيوان ضخم له خرطوم طويل) ولم يكن في الجزيرة العربية فِيَلة.

قرأ الإمام مالك – رحمه الله – في عيون تلامذته أنهم يرغبون في رؤية الفيل، فأذنَ لمن يحبّ الخروج لرؤيته بالخروج، خرج الطلبة جميعهم إلا طالبًا واحدًا هو يحيى بن يحيى الليثي.

وهنا التفت الشيخ إلى تلميذه يحيى:

يا بُنيّ لِمَ لَمْ تخرج مع زملائك لرؤية الفيل، فقال:

يا أستاذي، أنا جئتُ من الأندلس لرؤية الإمام مالك، وما جئتُ لرؤية الفيل.

تبسّم الإمام مالك، وانشرح صدره لهذه الإجابة، وهذا الموقف.

ومضت الأيام والسنون، وتُوفّي الإمام مالك (١٧٩هـ - عليه رحمة الله ورضوانه -) وتَرِثُ الأمةُ عنه كتابه المعروف الموطّأ الذي قال عنه الإمام الشافعي - ٢٠٤هـ - : (ما كتاب بعد كتاب الله أنفع من كتاب مالك بن أنس) طبعًا هذا قبل يظهر صحيح الإمام البخاري -٢٥٦هـ -

والآن تصلنا أوثق رواية للموطأ، هي رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي.

هذه القصة – أيّها الأحباب – أوردها لتعلّمنا الفرق بين الهمة العالية، والهمة الضعيفة .

الهمة العالية التي رفضتْ حتى رؤية الفيل لتتفرّع للهدف الأسمى الذي رحل من أجله يحيى بن يحيى إلى الإمام مالك.

واليوم لم تمضِ إلا أيامٌ معدودة على الأيام المعدودة التي هي شهر رمضان.

أظلّنا بليله القائم ونهاره الصائم

تعالَ معي أنا وأنتَ نستعرض الهمم والتشمير للطاعة في هذا الشهر الذي لا يزورنا في العام إلا مرة واحدة، أصلًا عُمُر الإنسان هو أعوامٌ معدودة.

ورمضان – أيها الأحباب – هو شهر القرآن.

الآن أنا وإياكم نأخذ جولة سريعة على هممنا في قراءة كلام الله.

لا ننكر أنّ منّا مَنْ لم يَكمل ختمة واحدة، ومنا من أكمل ختمتين أو سبع أو عشر، فالهمم تتفاوت.

والأفضل – شرعًا - هو الختم في ثلاثة أيام لا أقلّ لما صحّ عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم " لا يفقَهُ مَن قرأَ القرآنَ في أقلَّ مِن ثلاثٍ " والمقصود هنا التدبّر والفقه والاستيعاب.

لكن ورد عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون في ليلة، ابتغاء كثرة الحسنات " من قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ (الـم) حرفٌ ولكنْ (ألفٌ) حرفٌ و(لامٌ) حرفٌ و(ميمٌ) حرفٌ ".

وممن ثبت عنهم أنهم كانوا يختمون في ليلة: عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، والشافعي، وثابت البناني، وآخرون.

السؤال هو: كم من الوقت تحتاج قراءة ختمة كاملة ؟

- تقريبًا من عشر إلى اثنتي عشرة ساعة.

وقد حدّثني من أثق به أنه في رمضان هذا وفي مدينتي مدينة كبيسة في محافظة الأنبار:

رجلٌ في السبعين من عمره (طبعًا لا يريد من أحد أن يذكر اسمه) كان قد ختم في كلّ يوم ختمة، حتى كان في اليوم التاسع والعشرين كان يدعو الله أنْ يجعل رمضان ثلاثين يومًا لكي يُكمل ثلاثين ختمة.

همم عالية، همم كالجبال.

ورأيتُ أحد المثبّطين أمامي يقول: هذا متى يأكل ومتى يشرب ومتى ينام ؟

فأجابه صديقه: والله كان يأكل ويشرب وينام، وأحيانا كان يلعب الكرة مع زملائه بعد التراويح.

أمثال هؤلاء يمنحهم الله البركة في الوقت، ويقوّي هممهم، ويُشعرهم بالمتعة والراحة.

بل ذكر الشيخ الكويتي عثمان الخميس أنه يعرف امرأة كانت تختم في رمضان كلّ يوم، أما في العشر الأواخر فقد كانت تقرأ في كلّ يوم ختمة ونصف.

وأعجب من هذا كله أنّ أحدهم تحدّث لي أنه عند إحدى سواري الحرم المكي يجلس رجلٌ – يوميًّا – بعد صلاة الظهر فيبدأ بقراءة القرآن، فلا يخرج بعد العشاء إلا وقد أكمل ختمته.

سبحانه يُؤتي فضله من يشاء.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(48)

من عالم دين إلى ملحد

يحدثنا التاريخ القريب أنّ رجلًا يُسمى عبد الله علي القصيمي من القصيم في السعودية، طلبَ العلمَ الشرعي بعمق حتى أصبح يُشار إليه بالبنان، ثم أغواه الشيطان فانتكس.

تبدأ قصة هذا الرجل عندما ألّف المرجع محسن العاملي كتبًا سمّاه:

(كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب) ، فانبرى له القصيمي بكتاب سمّاه:

(الصراع بين الإسلام والوثنية) أدرج فيه من الأدلة القوية ما أثار إعجاب علماء عصره، حتى إنّ الشيخ عبد الظاهر أبا السمح إمام المسجد الحرام - رحمه الله – ومدير دار الحديث بمكة المكرمة – حرسها الله - ألّف قصيدة في مدح الكتاب،جاء فيها:

ألا في الله ما خطَّ اليراعُ لنصر الدين واحتدم الصراعُ

صراع بين إســـلام وكفر يقوم به القصـــيمي الشجاع

وقال علماء نجد:

"لقد دفع القصيمي مهر الجنة بكتابه هذا".

بل إنّ الشيخ أبا إسحاق الحويني المعاصر رحمه الله كان يقول: (كنّا نعدّه ابن تيمية العصر).

ومضت الأيام والسنون وانتقل القصيمي هذا إلى بلدان مختلفة، وسافر إلى مصر ودرس في الأزهر، ثمّ فُصل من الأزهر، ثمّ رحل إلى اليمن بعد ما طُرد من مصر، ثم لبنان، وتجوّل في العراق والهند وسواها.

وهنا دخل على الرجل شيطان الغرور، فبدأ الناس يسمعون عن هذا الرجل أخبارًا غير متوقّعة، نسمع أنّه انقلب على عقبيه، ترك الصلاة وصحب المنحرفين، بل وكفر بالله ورسله، وتحوّل إلى رجل ملحد.

وكان يزور هدى شعراوي هذه المرأة التي دعتْ إلى تحرير المرأة من الحجاب، وعندما سُئل عن زيارته لها قال:

(لقد وجدتُ عندها من العلم ماليس عند علماء الأزهر).

ثمّ ألّف كتابًا سمّاه (هذه هي الأغلال) أي أنّ تعاليم الدين كالصلاة والصيام قيود وأغلال.

وتناوله الكثير من العلماء بالردّ والإفحام، ومنهم الشيخ السعدي شيخ ابن عثيمين في كتابه: (تنزيه الدين وحملته عما افتراه القصيمي في أغلاله)، والشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) وقال عنه سيد قطب – وكان القصيمي في بداية انزلاقه -:

(أشمّ منه ريحًا منتنة).

- هذا الرجل يذكرنا بقصة بلعام بن باعوراء الذي أثبت القرآن انحرافه بسبب اتّباعه هواه بعد أن كان عالمًا يُشار إليه، ويُقال إنه كان مستجاب الدعوة، فأغواه الشيطان بالمال والنساء فهوى على وجهه.

" وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ".

اللهم يا مقلّب القلوب ثبّتْ قلوبنا على دينك.

سبحان الله، مثل هذه القصة تذكّرك – أخي المسلم - بدعاء نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم:

" اللهم يا مقلّب القلوب ثبّتْ قلوبنا على دينك، يا مصرّف القلوب صرّفْ قلوبنا إلى طاعتك ".

فلا مثبّت إلا الله، بل إنّ الله – جلّتْ قدرته – يخاطب الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام:

" ولولا أنْ ثبّتناك لقد كدتَ تركن إليهم شيئًا قليلًا "

تثبيت من الله، وعصمة للمعصوم صلى الله عليه وسلم.

وتذكرنا بحَديثُ سَهلِ بنِ سَعدٍ السَّاعِديِّ رَضيَ اللهُ عنه في الصَّحيحينِ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أهلِ الجَنَّةِ فيما يَبْدو لِلنَّاسِ وهو مِن أهلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أهلِ النَّارِ فيما يَبْدو لِلنَّاسِ وهو مِن أهلِ الجَنَّةِ .«"

وانتبهْ إلى تنبيهه صلى الله عليه وسلم في الجملة المعترضة " فيما يبدو للناس ".

وإذا أردنا أن نتلمّس الأسباب التي تدعو المنحرفين إلى الانحراف خاصة في قصة صاحبنا نجد عدة أسباب:

السبب الأول: يقول أحد معاصريه كنتُ أستشفّ من هذا الرجل عندما كان عالمًا متبحّرًا يُثني عليه الناس، كنتُ أقرأ في أفعاله وتصرفاته الرياء، فكان يحبّ مدح الناس بشكل مُلفت للنظر، بل كان يثني على نفسه ثناء ممجوجًا، حتى ليكاد الإنسان القريب منه يجزم – والعلم عند الله فهو العليم بما في القلوب – أنه ما كان هدفه إلّا الرياء.

ومن غروره وإعجابه بنفسه قوله:

ولو أنّ ما عندي من العلم والفضلِ يُقسّم في الآفاق أغنى عن الرسلِ

معنى كلامه: أنه يمتلك من االعلم ما لو وُزّع على أهل الأرض لما احتاج رب العالمين أنْ يُرسل الرسل.

السبب الثاني: سبب نفسي، يقول المقرّبون منه أنه عانى من أبيه في طفولته قسوة شديدة، خاصة بعد أن تزوّج أبوه بعد فراق أمه، فكان عبد الله يظنّ أنّ أباه سيرحّب به ويحتضنه بعد غربته في طلب العلم، لكنه تفاجأ بغلظة وقسوة جعلتْه يسيح في الأرض على غير هدى.

وغالبًا ما يكون أمثال هؤلاء متمرّدون على واقعهم، والعلم عند الله.

اللهم يا مقلّب القوب ثبّت قلوبنا على دينك .

وفي قصة عبد الله القصيمي قرأتُ أخيرًا أنّ السيدة آمال عثمان المسؤولة الإدارية عن قسم كبار السن في مستشفى فلسطين بمصر الجديدة الذي تُوفي فيه قالت:

إنّ القصيمي قضى أيامة الأخيرة يقرأ القرآن الذي كان بجانبه طوال الوقت.

نسأل الله له أن يكون الله قد ختمَ له بخاتمة حسنة.

وصلى اللهم وسلم على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فاقصص القصص

(49)

ثمرة التعامل مع الله

☒

بعد انتهاء مراسم الحج وانفضاض الحجيج كل في حال سبيله، اكتظ المطار بالحجاج العائدين إلى بلادهم وهم ينتظرون طائراتهم لتقلهم إلى الأحباب الذين ينتظرونهم بفارغ الصبر، جلس سعيد على الكرسي وبجانبه حاج آخر فسلم الرجلان على بعضهما وتعارفا وتجاذبا أطراف الحديث حتى قال الرجل الآخر:

–والله يا أخ سعيد أنا أعمل مقاولا، وقد رزقني الله من فضله وفزت بمناقصة أعتبرها صفقة العمر، وقد قررت أن يكون أداء فريضة الحج للمرة العاشرة أول ما أفعله شكرا لله على نعمته التي أنعم بها عليّ، وقبل أن آتي إلى هنا زكيت أموالي وتصدقت كي يكون حجي مقبولا عند الله .ثم أردف بكل فخر واعتزاز:

– وها أنا ذا قد أصبحت حاجا للمرة العاشرة.

أومأ سعيد برأسه وقال:

- حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا إن شاء الله

ابتسم الرجل وقال:

– أجمعين يا رب وأنت يا أخ سعيد هل لحجك قصة خاصة ؟

أجاب سعيد بعد تردد:

– والله يا أخي هي قصة طويلة، ولا أريد أن أوجع رأسك بها.

ضحك الرجل وقال:

– بالله عليك، هلا أخبرتني، فكما ترى نحن لانفعل شيئا سوى الانتظار هنا.

ضحك سعيد وقال:

– نعم، الانتظار وهو ما أبدأ به قصتي، فقد انتظرت سنوات طويلة حتى أحج، فأنا أعمل منذ أن تخرجت معالجا فيزيائيا قبل ٣٠ سنة، وقاربت على التقاعد وزوّجت أبنائي وارتاح بالي، ثم قررت بما تبقى من مدخراتي البسيطة أداء فريضة الحج هذا العام، فكما تعرف لا يضمن أحد ما تبقى من عمره، وهذه فريضة واجبة.

ردّ الرجل:

– نعم الحج ركن من أركان الإسلام وهو فرض على كل من استطاع إليه سبيلا.

أكمل سعيد:

–صدقت، وفي اليوم نفسه الذي كنت أعتزم فيه الذهاب إلى متعهد الحج بعد انتهاء الدوام، وسحبت لهذا الغرض كل النقود من حسابي، صادفتُ إحدى الأمهات التي يتعالج ابنها المشلول في المستشفى الخاص الذي أعمل فيه، وقد كسا وجهها الهم والغم، وقالت لي أستودعك الله يا أخ سعيد، فهذه آخر زيارة لنا لهذا المستشفى.
استغربت كلامها وحسبت أنها غير راضية عن علاجي لابنها، وتفكر في نقله لمكان آخر، فقالت لي لا يا أخ سعيد يشهد الله أنك كنت لابني بحنان والده، وقد ساعده علاجك كثيرا بعد أن كنا قد فقدنا الأمل به.

استغرب الرجل وقاطع سعيد قائلا:

–غريبة ، طيب إذا كانت راضية عن أدائك وابنها يتحسن فلِمَ تركت العلاج ؟

أجابه سعيد:

–هذا ما فكرت به وشغل بالي، فذهبت إلى الإدارة وسألت المحاسب عن سبب ما حدث وإن كان بسبب قصور مني، فأجابني المحاسب، بأن لا علاقة لي بالموضوع، ولكن زوج المرأة قد فقد وظيفته وأصبح الحال صعبا جدا على العائلة، ولم تعد تستطيع دفع تكاليف العلاج الطبيعي فقررت إيقافه.

حزن الرجل وقال:

–لا حول ولا قوة إلا بالله , مسكينة هذه المرأة فكثير من الناس فقدتْ وظائفها بسبب أزمة الاقتصاد الأخيرة، وكيف تصرفت يا أخ سعيد ؟

أجاب سعيد:

–ذهبت إلى المدير ورجوتُهُ أن يستمر بعلاج الصبي على نفقة المستشفى، ولكنه رفض

رفضا قاطعا، وقال لي إنّ هذه مؤسسة خاصة تبتغي الربح، وليست مؤسسة خيرية للفقراء والمساكين، ومن لا يستطيع الدفع فهو ليس بحاجة للعلاج.

خرجت من عند المدير حزينا مكسور الخاطر على المرأة وابنها خصوصا أن الصبي قد بدأ يتحسن، وإيقاف العلاج معناه انتكاسة تعيده إلى نقطة الصفر، وفجأة وضعت يدي لا إراديا على جيبي الذي فيه نقود الحج، فتسمرتُ في مكاني لحظة، ثم رفعتُ رأسي إلى السماء وخاطبت ربي قائلا:

اللهم أنت تعلم بمكنون نفسي، وتعلم أن ليس أحب الى قلبي من حج بيتك وزيارة مسجد نبيك، وقد سعيت لذلك طوال عمري، وعددت لأجل ذلك الدقائق والثواني ولكني مضطر لأن أخلف ميعادي معك، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.

وذهبت إلى المحاسب ودفعت كل ما معي له عن أجرة علاج الصبي لستة أشهر مقدما، وتوسلت إليه أن يقول للمرأة بأن المستشفى لديه ميزانية خاصة للحالات المشابهة.

دمعتْ عينُ الرجل:

– بارك الله بك وكثّر من أمثالك، ولكن إذا كنت قد تبرعت بمالك كله فكيف حججت إذًا ؟

قال سعيد ضاحكا:

–أراك تستعجل النهاية، هل مللت من حديثي ؟

اسمع يا سيدي بقية القصة، رجعت يومها الى بيتي حزينا على ضياع فرصة عمري في الحج، وفرحًا لأني فرّجت كربة المرأة وابنها، ونمت ليلتها ودمعتي على خدي فرأيت نفسي في المنام، وأنا أطوف حول الكعبة، والناس يسلمون عليّ، ويقولون لي حجا مبرورا يا حاج سعيد فقد حججت في السماء قبل أن تحج في الأرض، دعواتك لنا يا حاج سعيد، حتى استيقظت من النوم، وأنا أحس بسعادة غير طبيعية على الرغم من أني كنت شبه متأكد أني لن أتشرف، بحج بيت الله ...فحمدت الله على كل شيء ورضيت بأمره.

وما أن نهضت من النوم حتى رنّ الهاتف وكان مدير المستشفى الذي قال لي:

– يا سعيد أنجدْني فأحدُ كبار رجال الأعمال يريد الذهاب إلى الحج هذا العام، وهو لا يذهب دون معالجه الخاص الذي يقوم على رعايته وتلبية حاجاته، وزوجة معالجه في أيام حملها الأخيرة، ولا يستطيع تركها، فهلا أسديتني خدمة وذهبت بدلا عنه ؟ لا أريد أن أفقد وظيفتي إذا غضب مني، فهو يملك نصف المستشفى.

قلت له بلهفة:

–وهل سيسمح لي أن أحج ؟

فأجابني بالموافقة فقلت له إني سأذهب معه ودون أي مقابل مادي، وكما ترى فقد حججت وبأحسن ما يكون عليه الحج، وقد رزقني الله حج بيته دون أن أدفع أي شيء والحمد لله، وفوق ذلك فقد أصر الرجل على إعطائي مكافأة مجزية لرضاه عن خدمتي له، وحكيت له عن قصة المرأة المسكينة فأمر بأن يعالج ابنها في المستشفى على نفقته الخاصة، وأن يكون في المستشفى صندوق خاص لعلاج الفقراء، وفوق ذلك فقد أعطى زوجها وظيفة لائقة في إحدى شركاته.

نهض الرجل وقبّل سعيد على جبينه:

– والله لم أشعر في حياتي بالخجل مثلما أشعر الآن يا أخ سعيد فقد كنت أحج المرة تلو الأخرى، وأنا أحسب نفسي أنّي قد أنجزت شيئا عظيما، وأن مكانتي عند الله ترتفع بعد كل حجة، ولكني أدركت الآن أن حجك بألف حج من أمثالي، فقد ذهبت أنا الى بيت الله، بينما أنتَ دعاك الله إلى بيته، ومضى وهو يردد: غفر الله لي, غفر الله لي.

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، وتقبّلْ منا طاعاتنا، واغفر لنا خطيئاتنا، يا غفار يا رحيم.

وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفى وآله وصحبه.

فاقصص القصص

(50)

سيارة هدية لمن يصلي الفجر

يحكي الشيخ محمد عبد الرحمن العريفي (حفظه الله) أنّ رجلًا من طبقة الملياردیرات كان لديه قصر منيف، وكان له في القصر مصلى صغير يصلي فيه وأهله الصلوات الخمس.

وكان الرجل قد بنى لأهل الحيّ جامعًا كبيرًا للصلوات الخمس والجمعة والعيدين.

وفي فجر أحد الأيام أعجبه أنْ يصلي في الجامع الكبير، فلم يرَ من رواد الفجر سوى أحد عشر رجلًا.

سأل الرجل إمام المسجد:

هل من المعقول أنّ الحيّ فيه أكثر من مائة عائلة، فلا يصلي منهم الفجر إلا أحد عشر، علمًا أنّ هذا الجامع هو الوحيد في المنطقة ؟

الإمام: هذا ما ترى.

الرجل: أرجو منك – يا شيخي – أنْ تعطني أسماء هؤلاء الرجال .

وفي اليوم التالي يُفاجأ الجميع بأنّ هذا الرجل الثريّ أهدى لكلّ واحد منهم سيارة (كريسيدا).

يقول إمام المسجد:

وفي فجر اليوم التالي دخلتُ المسجد، فتفاجأتُ بكثرة المصلين حتى امتلأ الجامع وكأنّه ظهر الجمعة، حتى كان فيهم نساء وأطفال.

وأخذتُ أتساءل مع نفسي:

ربما اليوم يوم جمعة، وأنا لا أدري.

ربّما هناك جنازة، وهؤلاء ذووها ربّما.

رجعتُ إلى نفسي، فعلمتُ أنّ خبر السيارات المهداة أيقظ الناس من سباتها.

فصعدتُ إلى المنبر فعلًا (وكان الإمام من الذين يؤدّون رسالة لا يؤدّون وظيفة).

سلّم على الحاضرين ودعا لهم بقبول الصلاة والاستقامة، ثمّ أردفَ قائلًا:

أيّها الإخوة:

والله وبالله وتالله لقد ادّخر الله لروّاد الفجر المخلصين أضعاف ما سمعتم به من السيارات وحطام الدنيا الفانية، لأنّك استقبلتَ يومك بطاعة الله.

١ - وأوّل هذه المكافآت أنّك تُعطى شهادة تسمّى شهادة البراءة من النفاق.

ففي البخاري ومسلم: " إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا ".

وأنت تعلم – أخي الحبيب – أنّ أذان الفجر يكون مبكّرًا، ولذلك فصلاة الفجر امتحانٌ عمليٌّ للإيمان، وصراع بين دواعي الإيمان ووساوس الشيطان، فالإيمان يقول لك: الصلاة خير من النوم، وشيطانك يقول لك، النوم خير من الصلاة، فإن كان إيمانك أقوى نهضتَ بقوة إيمانك، وإن كان شيطانك أقوى قال: خمس دقائق عشر دقائق حتى يفوّتَ عليك هذه النعمة الربانية.

من هنا تدرك أنّ صلاة الفجر علامة فارقة بين المؤمن والمنافق.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على أن يعرفوا أنفسهم، هل أصابهم شيء من النفاق.

هذا عمر – رضي الله عنه - (وعمرُ هو مَنْ هو) يسأل حذيفة بن اليمان أمين سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أنشدك الله يا حذيفة، هل عدّني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين، فيُجيبهُ حذيفة: لا ، ولا أزكّي أحدًا بعدك.

٢ - أصبحتَ في ضمان وحفظ ورعاية ربّ العالمين، لأنّ الله تعهّد بحفظك ورعايتك إلى فجرك القادم.

في صحيح مسلم يقول صلى الله عليه وسلم وانتبهْ إلى منطوق ومفهوم هذا الحديث فإنّ أوله بشارة وآخره تحذير، يقول عليه الصلاة والسلام " من صلى صلاة الصبح فهو في ذمّة الله، فلا يطلبنّكم الله من ذمّته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشئ يدركه، ثمّ يكبّه على وجهه في نار جهنّم".

٣ - " وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهودًا " في مسلم:

" تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ".

٤ - سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها، كما في مسلم، هذه سنتها، فكيف بالفرض.

٥ - " من صلى الصبح في جماعة فكأنّما صلى الليل كله " وهو في مسلم.

٦ – نور تامّ يوم القيامة:

في صحيح أبي داود:

" بشِّرِ المشَّائينَ في الظُّلمِ إلى المساجدِ بالنُّورِ التَّامِّ يومَ القيامةِ "

٧ – صلاة الفجر تحلّ كلَّ العُقَد: ففي صحيح البخاري:

" يعقد الشيطانُ على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد، يضرب كلّ عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإنْ استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيّب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ".

٨ – هل تعلم أنّ صلاة الفجر سبب في رؤية الله يوم القيامة، ففي صحيح البخاري:

" كنّا جلوسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال:

" إنكم سترون ربكم كما ترون هذا (أي البدر) لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا " ثمّ قرأ صلى الله عليه وسلم " وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب "

٩ – بشارة بالنجاة من النار ودخول الجنة، ففي صحيح النسائي:

" لن يَلِجَ النارَ مَن صلَّى قبلَ طلوعِ الشمسِ ، وقبلَ غروبِها ".

١٠ – في صحيح الجامع:

" مَن صلى الفجرَ في جماعةٍ ، ثم قَعَد يَذْكُرُ اللهَ حتى تَطْلُعَ الشمسُ ، ثم صلى ركعتينِ ، كانت له كأجرِ حَجَّةٍ وعُمْرَةٍ تامَّةٍ ، تامَّةٍ ، تامَّةٍ ".

١١ – ألا تلحظ أنّ في أذان الفجر زيادة: الصلاة خير من النوم، بل من السنة أن يكون هناك أذانًا أولَ قبل أذان دخول الوقت لتنبيه الناس على أهمية صلاة الفجر.

١٢ – ربّ العالمين – سبحانه – يبعث في وقت الفجر غازًا يسمى غازَ الأوزون، يقول الأطباء عنه أنه يقوّي الجهاز العصبي ويقوّي الذاكرة.

وختامًا: الوسائل المعينة على صلاة الفجر:

أ – النية الصادقة، وتأتي عندما تشعر بأهمية وقيمة صلاة الفجر، أما إذا كنتَ تتمنّى أن لا يوقظك أحد، أو تتمنى أن لا تدق ساعة المنبّه فاعلمْ أنك في ذيل القافلة.

ب- عدم السهر، أما كنتَ مبتلىً بداء السهر فلا أقلّ من أن لا تنام حتى تصلي الفجر.

ج – أذكار النوم.

د – إعداد ما يُعينك على الاستيقاظ كتوقيت المنبّه أو تكليف من يوقظك.

هـ - أن لا يُكثر المسلمُ من الطعام مساء، لأنه إذا أكل كثيرًا تعبَ كثيرًا فنامَ كثيرًا فخسر كثيرًا

أسأل الله – عزّ وجلّ – ممنْ يثمّن هذه الفريضة المباركة ويعرف قيمتها.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسحبه أجمعين.

الغلاف الخلفي:

فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون:

١ – الطائر الكسيح.

٢ – وللتسول علاج.

٣ – غارتْ أمّكم غارت أمكم.

٤ – وعند النساء العقل والمروءة.

٥ – صاحب خمارة يتوب.

٦ – صاحب المعروف لا يقع.

٧ – سهام الدعاء.

٨ – النظر العميق للأمور.

٩ – صاحبُ النقْب .

١٠ – القاضي العادل.

١١ – اكتئاب المليارديرماسك.

١٢ – جبر الخواطر.

١٣ – عجائب القَدَر.

١٤ – مَنْ ترك شيئًا لله عوّضه الله.

١٥ – رحلة شاقة في طلب العلم.

١٦ – ويلات الطلاق.

١٧ – عاقبة الظالم.

١٨ – يا طالب العلم: اعرفْ قدرك.

١٩ – فتنة النساء.

٢٠ – أمّنْ يُجيب المضطر ؟

٢١- الاستثمار مع الله.

٢٢ – حقوق العباد.

٢٣ – العقبة الكأداء.

٢٤ – بقليل من الصبر تنال المطلوب.

٢٥ – يا بُنيَّ لا تأكلْ بلسانك.

٢٦ – ربّنا يتاجر لكِ.

٢٧ – دولة تدخل الإسلام بدعوة رجل.

٢٨ – طول العُمُر وحسن العمل.

٢٩ – طفلٌ في بطن أمه يسمع القرآن.

٣٠ – سبحان مقلّب القلوب.

٣١ – مهمّة الأنبياء.

٣٢ – جامع: كأنّني أكلتُ .

٣٣ – على هامش الحياة.

٣٤ – فضيلة السلام.

٣٥ – الرجوع إلى الحق فضيلة.

٣٦ – جائزة الستر على المسلم.

٣٧ – الدين الإبراهيمي.

٣٨ – وللدعاء آداب.

٣٩ – يصيب به من يشاء ويصرفه عمّنْ يشاء.

٤٠ – إياك نعبدُ وإياك نستعين.

٤١ – ضياع العُمُر في غير القرآن.

٤٢ – كيف تزكّي نفسك بالزكاة ؟

٤٣ – كيف تعرف أنّ الله – سبحانه – قد قَبِلَ عملك ؟

٤٤ – عبد القادر الجيلاني يُمتحن.

٤٥ – إنّما بُعثتُ معلّمًا.

٤٦ – كسرى يختبر شعبه.

٤٧ – جئتُ لأرى الإمام مالك لا لأرى الفيل.

٤٨ – من عالم دين إلى ملحد.

٤٩ – ثمرة التعامل مع الله.

٥٠ – سيارة هدية لمن يصلي الفجر.

ا. د. عمر حمدان الكبيسي

أكاديمي وباحث عراقي متخصص في علوم اللغة العربية وآدابها، يحمل أعلى رتبة علمية جامعية. تدرج في تحصيله الأكاديمي حتى نال درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة بعد حصوله على الإجازة الجامعية من كلية الشريعة ببغداد. يمتلك مسيرة تدريسية حافلة تمتد لأكثر من ثلاثة عقود قضاها بين جنبات الجامعات العربية. تولى خلال رحلته الأكاديمية مناصب علمية وإدارية متعددة شملت رئاسة الأقسام وإدارة مراكز تعليم اللغة ورئاسة لجان الدراسات العليا والترقيات. أثرى المكتبة اللغوية والدينية بإنتاج غزير شمل تحقيق المخطوطات التراثية وتأليف الأبحاث المحكمة في مجالات النحو والبلاغة وتوجيه القراءات القرآنية. أسهم بدور بارز في خدمة الدراسات العليا من خلال الإشراف على العديد من أطروحات الماجستير والدكتوراه ومناقشتها في جامعات مرموقة. يعد محكماً علمياً معتمداً لنتاج الباحثين في كبرى المجلات والجامعات في العراق والخليج العربي والأردن. شارك بفاعلية في العديد من المؤتمرات والندوات الدولية التي ناقشت قضايا لغة الضاد وتدبر القرآن الكريم. يجمع إلى جانب عمله الأكاديمي مواهب إبداعية وثقافية تتجلى في نظم الشعر والكتابة الهادفة للطفل. يمتد عطاؤه المجتمعي والدعوي عبر المنابر والبرامج الإذاعية والتلفزيونية لمعالجة القضايا الفكرية والتربوية والاجتماعية.

+964 0777 52 62 892
IRAQ - DAIYALA - BAGHUBA
ISBN: 978-9922-7961-47
email : manager@sss-publisher.com
https://doi.org/10.62909/978.9922.7961.47
Sumerian scriptum synthesis publisher (SSSP)